الحكمة والقيم الخلقية
في شعر محمود غنيم
دراسة تحليلية نقدية

دكتور
علاء فؤاد عبد الفتاح بيومي
كلية الدراسات الإسلامية للبنات - بالزقازيق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين "وبعد"

فهذا بحث في "الحكمة في شعر محمود غنيم". والحق يقال: إن هناك كثيرا من البحوث والدراسات دارت حول الشاعر، لكنها لم تتناول شعر الحكمة لديه ولعل ذلك كان أحد الدوافع الرئيسية لدراسة هذا الموضوع، بعد ما هالني كم الشعر الحكمي عند غنيم، فلا تكاد قصيدة تخلو من الحكم التي تنم عن فكر واع وعقل متزن ونظرة صائبة وخبرة واسعة بالحياة والأحياء ومن ثمة عقدت العزم على المضى قدما في بحثى غير مبال بما رمى به شعر الحكمة من اتهامات باطلة من أنه "شعر الوعظ، والجمود العاطفي، والجفاف والنزعة المنطقية، [١] وأنه ليس من الشعر في شيء، وغير ذلك من الاتهامات التي هي جزء من الحملة الشعواء على اللغة العربية التي يشنها أعداؤها للنيل من التراث العربي الأصيل وحرمان أبنائه من تذوق النماذج الأدبية الرفيعة، وإبعاده عن تلكم النزعات الأخلاقية التي يعج بها الشعر العربي والتي تعد كنزا من كنوزه العظيمة، ولله در البارودي حين قال:

إن في الحكمة البليغة للرو ح غذاء كالطب للأجساد [٢]

ولم لا ؟ والحكمة هي العدل والعلم والنبوة،[٣] يقول الله عز وجل: " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ

---

(١) نظم اللآلئ في الحكم والأمثال: جمع وترتيب عبد الله فكري شرح عبد المعين الملوحي، دار الأوزاعي، بيروت ١٩٠٤م المقدمة للدكتور/ شكري فيصل ص ١١ وما بعدها بتصرف.

(٢) ديوان البارودي: تحقيق على الجارم ومحمد شفيق معروف، ص ١٥٣، ط / دار العودة بيروت، (١٩٩٨م).

(٣) الحكم والأمثال حنا الفاخوري، ط / دار المعارف بمصر ص٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا أولُو الألْبَابِ".[١]

والحقيقة أن الحكمة وردت في القرآن الكريم بمعان مختلفة [٢] غير أنه يمكن إرجاعها جميعا إلى معنيين رئيسيين هما: العلم وفعل الصواب، وهذا ما يؤكده الرازي بقوله " واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع الأول إلى العلم والإدراك المطابق، والثاني إلى فعل العدل والصواب " [٣].

ويعرف الدكتور/ عمر فروخ الحكمة بأنها قول صائب في حال مخصوصة"[٤] في اللغة الصرف والمنع للإصلاح ومنه الحكيم لأنه يمنع نفسه ويصرفها عن هواها".[٥]

والحكمة من الأحكام والإتقان في علم، أو قول أو عمل، أو فيها جميعا، ويعرفها العلماء بأنها قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً".[٦]

وهي كذلك عندهم:" عصارة خبرة في الحياة وفهم لأسرارها يدبجها ذهن ذكي فطن " [٧].

---

(١) من سورة البقرة الآية "٢٦٩".

(٢) راجع تلك المعاني في من تأويل آى القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج٣ ص٩٠وما بعدها، ط/ دار الفكر، بيروت د/ت.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي: ج٧ص٧٢.

(٤) تاريخ الأدب العربي: ١ / ٨٩. ط / دار العلم للملايين بيروت.

(٥) راجع الحكم والأمثال "حنا الفاخوري" ص ٧.

(٦) الأدب العربي في الأندلس: د/ عبد العزيز عتيق: ص ٢٠٨ ط/ دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.

(٧) راجع الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية: د/ محمد توفيق أبو علي، ط/ دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة وأثنى عليها وأشاد بها حيث قال: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها".[١]

كما قال صلى الله عليه وسلم: لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها ". [٢] وكذلك قوله ﷺ: " إن من الشعر لحكمة " [٣].

وفي كل تلك الأحاديث نجد الحكمة تدور حول المعنى العام لهذه الكلمة وهو العلم والمعرفة والصواب ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

وعلى أية حال فالحكمة قول صائب، يصدر عن تفكير منظم خبير صقلته التجارب، وعركته الحياة، يتجلى فيها روعة الأسلوب، وجمال البيان.

والحكمة فلسفة الحياة الأولى، وعصارة خبرة الدهور، وخلاصة نور العقل، ونور اليقين، بل إنها عين النفس العربية، ومرآة ما يجول فيها، وطريق الاستقامة إلى المثل العليا".[٤]

كذلك فإن الحكمة – كما يقول حنا الفاخوري[٥] – قول موجز يحوى فكرة عميقة تعبر تعبيراً صادقاً من أسر الأمور أو معنى من المعاني، أو حادثة من الحوادث، وهي لا ترتبط بعصر من العصور أو بيئة من البيئات، بل تلائم شتى العصور ومعظم البيئات بدليل حكم زهير بن أبي سلمى والمتنبي والمعرى وغيرهم التي ما زالت بيننا حتى الآن وستزال أبد الدهر.

---

(١) سنن ابن ماجة: المكتبة العصرية، بيروت ط١ (١٤١٦٩) ص٧٣٨.

(٢) البخاري (٧٣) ص١٧.

(٣) صحيح البخاري ط/ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ص١٠٧(٦١٤٥).

(٤) الحكم والأمثال: حنا الفاخوري، ص١١.

(٥) الحكم والأمثال: ص٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشعر الحكمي يعتبر منارة للأجيال وقبلة للنظار وخاصة لمن يتلمسون طريق الخير والسعادة والمجد، وقديما قال أبو تمام:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى :. بغاة الندى من أين تؤتى المكارم (١)

ولم يخل الأدب العربي على مر العصور من الحكمة والحكماء بدءاً من العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي فالأموي وكذا العصر العباسي وصولاً إلى العصر الحديث، الذي عاش فيه شاعرنا محمود غنيم.

---

(١) راجع شرح ديوان أبى تمام:إيليا الحاوي، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨١) ص٥٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد:

سيرة الشاعر

ولد محمود غنيم في يوم الأحد التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٣٢٠هـ الموافق الثلاثون من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٢ في قرية مليج بمديرية المنوفية، التحق وهو ابن الثالثة عشرة بالمعهد الأحمدي الأزهري بطنطا، وظل به أربع سنوات، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٢٠ وقد مكث فيها ثلاث سنوات وتم إلغاء الدراسة بها قبل أن يحصل على شهادتها، فالتحق بأحد المعاهد الدينية ونال منه الشهادة الثانوية، ثم التحق بمدرسة دار العلوم سنة ١٩٢٥م وتخرج فيها عام ١٩٢٩، ثم عين بعد تخرجه بالتدريس بمدينة كوم حمادة بمديرية البحيرة، ونقل إلى القاهرة عام ١٩٣٨م، بعد معاناة شديدة قضاها الشاعر في الغربة بعيداً عن الأهل والأحباب ولكن كانت تلك المرحلة مرحلة خصبة في حياة الشاعر الأدبية حيث أثمرت الكثير من الأشعار التي أثرت المكتبة الشعرية والحياة الاجتماعية.

عمل غنيم مفتشا للنشاط الأدبي بالوزارة عام ١٩٤٣م، ثم عين مديرا لقسم المباريات الأدبية وإدارة المجتمع اللغوي بالتعليم الأجنبي عام ١٩٤٦ ثم مفتشا للغة العربية ثم أنهى حياته الوظيفية عام ١٩٦٣م.

ظهرت بوادر النبوغ على الشاعر مبكرا وكان ينشر باكورة شعره في كبريات الصحف المصرية آنذاك كالسياسة الأسبوعية، والبلاغ الأسبوعي، الرسالة، الثقافة، الأهرام، وأبولو، ودار العلوم، كما نشر شعره في بعض المجلات غير المصرية مثل مجلة الحج السعودية، والعصبة الأندلسية التي كانت تصور آنذاك في البرازيل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكانت أول قصيدة نشرها الشاعر في رثاء (محمد فريد) وهو في السادسة عشرة من عمره، وتصدرت قصيدته في رثاء (سعد زغلول) كتاب دموع الشعراء على سعد زغلول سنة (١٩٢٧م).

مثل غنيم مصر في العديد من المهرجانات العربية، وكان أحد الأعضاء البارزين في الجمعيات الأدبية التي اشتهرت في الثلاثينات من القرن العشرين مثل مدرسة البعث، والديوان، وجماعة أبوللو، جماعة أدباء العروبة، ورابطة الأدب الحديث، وغيرها.

أصدر ديوانه الأول (صرخة في واد) عام ١٩٤٧م وتقدم به لأول مسابقة شعرية يعدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ففاز بالجائزة الأولى.

وأصدر ديوانه الثاني (في ظلال الثورة) ونال عليه جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٣م.

أما ديوانه (رجع الصدى) فقد طبع بعد وفاته وذلك في عام ١٩٨٦م.

وصدر أخيراً الأعمال الكاملة لمحمود غنيم طبعة دار الغد العربي ١٩٩٣م، ويضم جميع شعره الغنائي.

وللشاعر خمس مسرحيات شعرية هي:

١-المروءة المقنعة وصدرت ١٩٤٤م.

٢-الجاه المستعار وصدرت ١٩٤٥.

٣-غرام يزيد وظهرت ١٩٥٠.

٤-يومان للنعمان وصدرت ١٩٨٥م.

٥-النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع وظهرت عام ١٩٦٠م.

وكان شعر غنيم الغنائي والمسرحي ميدانا خصيباً للباحثين حيث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتب عنه الكثير من الدراسات والرسائل الجامعية.

- محمود غنيم وشعره.. رسالة دكتوراه للدكتور محمد أحمد سلامة رحمه الله (١٩٧٤م) مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.
- المسرح الشعري عند محمود غنيم. رسالة ماجستير للباحث علاء عبد الفتاح ١٩٩٦م مخطوطة بكلية اللغة العربية بالزقازيق.
- التجديد في شعر المحافظين في مصر: رسالة ماجستير ١٩٩٧م للباحث ياسر أحمد عكاشة مخطوطة بكلية اللغة العربية، الزقازيق.
- الاتجاه الوطني بين محمود غنيم وهاشم الرفاعي ماجستير (٢٠٠٢م) للباحث رفعت محمد عثمان مخطوطة بكلية اللغة العربية بالمنصورة.
- الاتجاه الديني بين الشاعر محمود غنيم والشاعر محمد مصطفى الماحى رسالة ماجستير للباحث إبراهيم محمود حجازي بكلية اللغة العربية بالمنصورة.
- الصور البيانية في شعر محمود غنيم رسالة دكتوراه للباحثة كوثر سيد يوسف كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، وعلى الرغم من ذلك، فإنه ما زال هناك بعض الجوانب التي تحتاج لدراسة في شعر غنيم.

وأخيراً فقد توفي الشاعر عام ١٩٧٢م بعد أن ترك لنا هذا التراث الأدبي الضخم الذي يعد فخراً للأجيال ومنارة للعربية وقبلة للباحثين.

بواعث الحكمة لدى محمود غنيم:

تهيأت لغنيم عدة بواعث ودوافع جعلته يميل نحو شعر الحكمة ويكثر منه على النحو الذي سنراه.

ثقافته الواسعة:

الثقافة العامة والأدبية:

وتتمثل تلك الثقافة الواسعة في الثقافة العامة والأدبية والإسلامية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث كان غنيم واسع الاطلاع منذ الصغر، وفي ذلك يقول الدكتور خفاجي، "كانت هناك بذور وأصول ثابتة، قد أخذت تتفتح من عهد صباه عندما كان يجلس أمام والده، يقرأ قصص "عنترة" وما فيها من أشعار وقد تكون من النسق العالي والشعر الرائع، ولكن كان في قراءة هذا الشعر وترديده ثم حفظه أكبر الأثر في تذكيه الشعور، وتنبيه المواهب، وتحريك الأحاسيس ويشجعه والده على التزود والإلقاء والحفظ".(١)

وكان والد الشاعر محبا للشعر، يرصد الجوائز لأولاده الذين يحفظون الشعر وخاصة قصائد الحماسة لأمثال عنترة، وقد صرح الشاعر بذلك في مقدمة ديوانه "صرخة في واد" حيث قال مخاطبا أباه:

"وما زلت أذكر – وإن بعد العهد تلك الدريهمات التي كنت ترصدها لي مقابل استظهار ما تشير على باستظهاره مما يضاف من شعر الحماسة إلى "عنترة" ومن شعر الحكمة إلى علي بن أبي طالب".(٢)

هذا إلى جاب الدأب والاطلاع والسهر والتزود من آثار القدماء، وإبداع المحدثين، فكان ينام على قراءة قصيدة قديمة، أو كتاب قديم أو كان الأدب زاده والشعر مراده الذي لا يفارقه".(٣)

– إعجابه بالشعراء القدماء وتأثره بشعرهم وعلى رأسهم المتنبي الذي أولع غنيم بشعره واتخذه أنموذجا فريداً يحتذى به، وراح يدافع عنه في كل واد وناد، ومن ذلك قوله يرد على من عابوا عليه شعر المناسبات.

""إن شعر المتنبي شاعر العروبة الأول قيل كله – تقريباً – في مناسبات خاصة، وفي أتفه أبواب الشعر – وهو المدح – ومع هذا وذاك فقد استطاع أن يفرغ فلسفته في مدائحه، وأن يضمنها حكمه الخالدة حتى

---

(١) من تاريخنا المعاصر د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص١٧٩ ط/ دار العهد الجديد.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: المجلد الأول، الإهداء ص١٠.

(٣) محمود غنيم وشعره: رسالة دكتوراه للدكتور/ محمد أحمد سلامة ص٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرضها على الناطقين بكل لسان في مختلفة العصور والأزمان".[١]

وإذا كان غنيم قد أعجب بفلسفة المتنبي وحكمته فإنه أعجب كذلك بطبع البحتري وديباجته وتدفق شاعريته، وقد أبان عن ذلك الإعجاب وتأثره بشعره في قصيدته "في مهرجان الوليد" التي ألقاها غنيم في دمشق بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للفنون والآداب هناك بذكرى البحتري حيث قال:

شاعر أعجز الفحول بشعر ... سلسل طيع عصى عنيد
شاعر بل مصور بل مغن ... ما قوافيه غير أوتار عود
فاعل بالكلام ما يفعل الصا ... غ في حَبِّ لؤلؤ منضود
ينسج الشعر من زهور الروابي ... ويديه بابنة العنقود
روضة البحتري منبت ريشي ... وبها قد نشأت واشتد عودي
وأحب القريض سمح المعاني ... مشرق اللفظ شاجي الترديد
يشبه الراح كلما عب منها ... محتسيها يقول: هل من مزيد؟[٢]

وقد اكسب تأثر غنيم بالبحتري سماحة المعاني، وإشراق الألفاظ وجمال الموسيقى، حتى جاء شعره محكم السبك، رقيق الحاشية، ملائما للذوق العربي السليم، وقد تحدث عن ذلك الشاعر عزيز أباظة فقال: "ومرد ذلك إلى مكونات الشاعر من ثقافة واسعة متنوعة، وموهبة فطرية تفاعلت معها أسرار الحياة ".[٣]

ولم يقتصر إعجاب غنيم على الشعراء القدماء بل أعجب كذلك بشعراء العصر الحديث وفي مقدمتهم أحمد شوقي حيث حفظ شعره، وشارك في تكريمه بقوله:

---

(١) في ظلال الثورة "الأعمال الكاملة" لمحمود غنيم ص٣٠١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٢٩/١ وما بعدها.

(٣) ديوان "في ظلال الثورة" التقديم بقلم/ عزيز أباظة ص٢٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك على عرش البيان قد استوى وبكل قلب قد حواه سرير.

يقول أستاذنا الدكتور/ خفاجى - رحمه الله -: كان إعجاب غنيم بأحمد شوقي يضاهي حبه وإعجابه بأحمد المتنبي، "إن الأحمدين هما عمود الشعر، وهما منارة الشاطئ وما بعدهما قد يكون لمعات وإشعاعات لا تصل إلى قوة المنارة، ولا يمكن أن يهتدي على ضوئها مدلج وتائه".(١)

كذلك قرأ غنيم وتأثر بالبارودي وحافظ إبراهيم، وحفني ناصف، محمد عبد المطلب والجارم، وأحمد الكاشف.

- كما كان غنيم من مرتادى الأندية الأدبية التي تحفل بالمساجلات الشعرية والمعارك الأدبية، وبخاصة نادى دار العلوم، حيث كانت تلك الأندية، ميداناً فسيحا لإلتقاء الشعراء وقبلة الناشئين والموهوبين وقد استطاع غنيم من خلالها الاتصال بأساتذته الذي شجعوه ووجهوه، كما أشعلت تلك النوادى جذوة المباراة الشعرية وأذكت روح المنافسة بين غنيم وبين أصدقائه الشعراء من مدرسة القضاء الشرعي من أمثال محمد الأسمر وغيره، ما دفع غنيم أن يجيد ويجود في شعره ويترنم ويبدع حتى يحظى بالإعجاب والقبول والتفوق والتميز على غيره من الشعراء.

الثقافة الدينية:

وتعتبر الثقافة الدينية من أهم بواعث الحكمة لدى غنيم، حيث حفظ القرآن وهو صغير، ودرس في الأزهر ودار العلوم، كما حفظ الكثير من الأحاديث الشريفة، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الخلفاء الراشدين، وخطبهم ووصاياهم ودساتيرهم وكانت معينا خصبا لشاعريته فنظم "عمر الزاهد"، "خالد القائد"، "مولد الرسول"، "أغنية الإسراء"، "مهب الوحي"، و"آذان الفجر"، و"نشيد الأنصار" وتحدث عن أسطول معاوية

---

(١) من تاريخنا المعاصر د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص١٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستشعر عظمة هارون الرشيد وهكذا كانت الثقافة الدينية من أبرز الروافد لحكمة غنيم. هذا بالإضافة إلى الفطرة السليمة والموهبة الأصيلة والعاطفة الجياشة، والخواطر الفياضة التي طبع عليها غنيم والتي أججت شاعريته وفجرت ينابيع الحكمة على لسانه.

أسفاره وتنقلاته:

كان غنيم كثير الأسفار والتنقلات بين البلدان حيث زار غزه، وشاهد بنفسه اللاجئين والعيشة البائسة التي يحيونها، وانعكس ذلك كله على شعره، ومنها التي تفيض أسى وحزنا وعذابا وألما وحكمة... كذلك سافر غنيم إلى "طرابلس الغرب" في مهمة ثقافية وشارك في عدة مهرجانات أدبية هناك أفاض فيها وأجاد. كما سافر إلى دمشق وبغداد – ضمن احتفالات المجلس الأعلى للفنون والآداب التي تعقد في البلاد العربية – والتقى هناك بأدباء الشام والعراق والمغرب، وقد أثرى هذا الاحتفال محصول الشاعر وشحذ عقله وأنمى صورته الشعرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول
الموضوعات الحكمية في شعر غنيم

أولا: الحكمة التأملية:

في الموت والحياة:

شغلت قضية الموت والحياة الشعراء قديما وحديثا على السواء فقد عرف قديما عدد من شعراء الحكمة كزهير بن أبي سلمى، والأفوه الأودى، والسموأل، وعدى بن زيد العبادي، وأبي ذؤيب الهذلى، وأبي تمام، والمتنبي، والشريف الرضى.

وقد كانت نظرة الشاعر الجاهلي إلى الموت نظرة ملؤها الاستسلام والرضا والصبر، إذعانا منه للأقوى، وأنه نهاية كل حي، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته، ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم[1]

ومنه أيضا قول لبيد:

وما المال والأهلون إلا وديعة ولابد يوما أن ترد الودائع [2]

ونلاحظ أن الشاعر الجاهلي شغل بالموت ولم يبحث فيما بعده بخلاف الشاعر الإسلامي الذي لم تقتصر نظرته على الموت فحسب بل تعدتها إلى ما بعد الموت، حيث حذر الإسلام من ذوبان الإنسان واندماجه في دوامة الحياة دون أن يتنبه لما بعدها من بعث وحساب فأصبح خوف الشاعر مما بعد الموت لا من الموت ذاته.

---

(١) شرح المعلقات العشر للزوزني: ط / منشورات مكتبة الحياة بيروت (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص١٥١.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة: شرح حمدي طماس، ط/ دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م / ١٤٢٥هـ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونقرأ لأبي العلاء المعرى قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادى
صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد؟
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد[1]

ويقول أيضا:

إن حظنا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونها للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريـ ـح الجسم فيها والعيش مثل السهاد[2]

حيث ينطلق أبو العلاء من فلسفة تشاؤمية وإيمان بتفاهة الحياة وضآلة الإنسان وإيمان بالحياة الآخرة.

وها هو ذا إلياس فرحات يصور الموت كنهاية حيث يقول:

إن الخلائق أنهر تجري إلى البحر الوسيع
يصل البطئ إليه كرها مثلما يصل السريع
فالشاة تفتك بالكلا والذئب يفتك بالقطيع
والصقر يفتك بالقطا والموت يفتك بالجميع

ولهذا فإنه يؤمن به، لأنه فوق كل شبهه، ولأن قضاءه لا يرد:

لم أدر كالموت ربا صادقا نفذت أحكام سلطانه في كل سلطان
لا يرتشي بنذور الناذرين ولا يبغى رضاه بقداس وقربان
وكل رب إلى البرهان مفتقر والموت لم يفتقر يوما لبرهان

ويقول الزهاوى في حسرة وأسى بالغ:

---

(١) شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري، القسم الثالث، ص٩٧١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة (١٩٧٨م).

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يـــا ويلنـــا ســـأموت بعـــد قليـــل وأفـــارق الـــدنيا وكـــل جميـــل

ولقد شاع ذكر الموت لدى كثير من شعراء العصر الحـديث مـنهم البارودي وأحمد شوقي، وحافظ، والشابي، والهمشري، وفوزي المعلـوف، وأحمد العاصي، وبدر شاكر السياب، ومحمود غنـيم شـاعرنا موضـوع الدراسة حيث كانت له حكم رائعات ونظرات في الموت والحياة، ومما قاله غنيم في الموت:

ولـــم أر كـــالموت داء قـــديما تخـــرم عـــاداً وأفنـــى ثمـــودا
رأيـــت البكـــاء يعـــزي الحـــزين ولكنـــــه لا يـــبـــرد الفقيـــــدا
لعمـــرك مـــا المـــوت إلا انطـــلاق فـــإن الحيـــاة تفـــيض قيـــودا[1]

فالموت لدى غنيم داء عضال قديم أهلك عادا وأفنى ثمودا والأمـــم السابقة، كما يرى غنيم أن الموت انطلاق وفك للقيود التي يتقيد بها الإنسان في حياته الدنيا، وأنه الراحة الأبدية بعد العنت والشقاء الذي كابده الإنســـان في دنياه.

كذلك يرى غنيم أن البكاء وإن كان فيه عزاء وسلوى إلا أنـــه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعيد الفقيد.

وقديما قال ابن الرومي مؤكدا على أن البكاء يشفي ولكنه في نفس الوقت لا يجدي ولا يفيد، لأنه لن يعيد المفقود أبدا:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي:. فجودا فقد أودى نظيركما عندي[2]

ويدعو غنيم إلى عدم الرهبة من الموت أو وحشـــة المقـــابر، وأن

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/١٨٤.

(٢) ديوان ابن الرومي: تحقيق / احمد حسن بسبح، ط/ دار الكتب العلمية، بيـــروت الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) ص ٤٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموت يجمع بين الأحباب، كما يدعو إلى عدم الأسف على الحياة، لأنها دار نفاق وملق وخداع، وأنها في حرب سجال بينها وبين كل فضيلة، ومن ثم فالموت هو السبيل الوحيد للخلاص من تلك الدنيا حيث يقول في قصيدة قالها من ذكرى الأربعين في وفاة الشاعر إبراهيم ناجي:

لا ترهبن من المقابر وحشة يا صاح، فهي كثيرة الطراق
لا تحسبن الموت بينا إنه بين الأحبة موعد وتلاقى
لا تأسفن على الحياة، فإنها كانت، ومازالت مجال نفاق
بين الحياة وبين كل فضيلة حرب على قدم تقوم وساق[1]

كما وردت بعض الحكم الرائعة في شعر غنيم عند تأبينه عبد العزيز فهمي شيخ القضاة آنذاك:

والله ما نظم الرثاء لراحل كلسان ما أسداه من آلائه
ومن الثناء ممحض وممزوه لكن صدق القول غير ريائه
وخذوا الحقائق عنه بعد مماته والميت مؤتمن على أبنائه[2]

فخير رثاء للمرء هو أعماله الصالحات وسيرته الحسنة الطيبة، فذلك مما يخلد ذكره ويحفرها في القلوب، وقديما قال الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

ويرى غنيم أن الدنيا دار فناء، يستوى فيها الفقراء والأغنياء، وأن الموت يرقب الجميع، وأن الناس في هذه الدنيا كمن يركب سفينة في وسط بحر زاخر ثائر،فمن يسلم من الغرق لا يسلم من الاضطراب، وأن الموت يطلب الجميع دونما استئذان أو ميعاد فيقول:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ج ١ ص ٤٩٦.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٠٤وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سـيان مـن سـكن اليبـا ب بهـا، ومـن سـكن القبـاب
الكـل منهـا فـي عـذا ب، والمنيـة فيـه قـاب
والنـاس فـي الـدنيا كركـ ـب سـفينة وسـط العُبـاب
أن تـنج مـن غـرق بهـم لـم يسـلموا مـن الاضـطراب
(المـوت ضـيف منكـر أبـداً يُطـوف بكـل بـاب)

فهو يزهدنا في الدنيا التي لا تدوم على حال، ويدعو إلى الاستعداد للموت في كل الأوقات لأنه كالضيف المفاجئ.

ويؤكد غنيم أن الإنسان في غفلة عن الموت، وأن هذا الكون سيظل سراً يعجز الإنسان عن الوصول إليه، لعجزه فسر هذا الوجود لا يدرك كنهه إلا الله.

إن ابن آدم عن سر الوجود وعـن سر الحياة وسر الموت غفلان
ضل ابن آدم إذ رام الوصول إلى نهاية الكون والإنسان إنسان[1]

فالموت في نظر غنيم على الرغم من كراهية الناس لـه، إلا أنـه يعتبر شفاء للأسقام والأوجاع، بل هو علاج لما عجز الطب عن علاجـه، ويذهب غنيم إلى أبعد من ذلك حين يقرر أن الموت أحن على الإنسان من الأم الرءوم العطوف حيث يقول:

قلينا المـوت - وهـو علـى قلانـا لـه - يشـفى مـن الـداء العقـيم
إذا مـا الطـب أفلـس، كـان طبـا لمـا استعصـى عليـه الكلـوم
لعمـرك قـد يكـون المـوت أحنـى علـى الأحيـاء مـن أم رءوم
ولـم أر مثـل المـوت ضـيفاً يُلـمُّ بسـاحة الحُـرِّ المضـيم[2]

وفي قصيدة (أشيع أصحابي) يبين غنيم أنه لن ينفـع الإنسـان إلا

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١ /٧٢٠.

(٢) المضيم: بفتح الميم: المظلوم. راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم /٧٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمله، ويوضح أنه لن يغني أحد عن أحد شيئاً، ويتحدث عن المشيعين وعدم اكتراثهم بالميت أو اهتمامهم له، أو حزنهم عليه فيقول:

ويا رب ملتاع على الميت ما سعى ... إليه، وساعٍ لم يذق لوعة الثكل
وما أبتغي- إن حان حيني - زفة ... بحسبي من الساعين من كلفوا نقلي
لقد عشت لا أعنى بطبل يدق لي ... فما حاجتي بعد الممات إلى طبل؟
إذا كنت مقبولا، فما بي حاجة ... إلى كثرة الأفواج أو زحمة الحفل
وإن كانت الأخرى، فليس بنافعي ... وفود من الساعين في عدد عقلي
وأعلم أن الله ليس بخاذلي ... فلله فضل لا يحيط به عقلي
جبال ذنوبي - حين أذكر عفوه ... ورحمته الكبرى-أدق من النمل(١)

ويذكرني البيت الأول لغنيم بقول الشريف الرضي:

بكيتك للوداد ورب باك ... عليك من الأقارب لا يود
وإن بكاء من تبكيه قربى ... لدون بكاء من يبكيه ود(٢)

ثم يوضح غنيم في أسلوب حكمي أنه لن يعرف فضله ومكانته إلا بعد وفاته، وفقده إلى الأبد، وخاصة الأهل، إذ سيبكي أولاده وزوجته عليه دماءً بدلا من الدموع بعد أن يتكبدوا تكاليف الحياة ومشقاتها وتبعاتها تجاه أنفسهم وتجاه أولادهم فيقول:

سيعلم أهلي- بعد فقدي - مكاني ... فتبكي دما عرسى، ويبكي دماً نجلي
إذا ولدى ناءوا بأعباء نسلهم ... درى ولدى كم حملوني من ثقلي(١)

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٥٠.

(٢) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٣٦٧، ط/ دار بيروت (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي الترهيب من الموت والعمل له وعدم الركون إلى الدنيا والانشغال بها؟ وبملذاتها عن الآخرة يقول غنيم:

وما الحمق إلا أن تفكر في غدٍ وأنت رهين الموت، لا تضمن الغدا[٢]

فالتفكير في الغد في نظر غنيم من الحمق، لأن الغد ملك لله يقول الله تعالى: "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا".[٣]

ولكن هذا لا ينفي العمل حتى لا تتوقف عجلة الحياة، فقد أمرنا الله بالعمل للدنيا، والعمل للآخرة، حيث قال:

"وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا". [٤]

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا".

فالعمل للدنيا مطلوب، ولكن الانشغال بها مرفوض، وكما رأينا أن تلك الحكمة لها جذورها في الكتاب والسنة.

وللشاعر قصيدة بعنوان " فلسفة الحياة "، حيث سبح غنيم فيها في بحر الحياة، وخرج منه بعدة حكم، منها: [٥]

كم عليل الجسم ذى طرف كليل يعشق النور وإن لم يره
وشديد في الحياة ابن سبيل إن رأي طيف الردى أنكره

ومنها أيضا:

ولأمر وأد البنت أبوها وأحس العطف نحو الولد

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٥٠.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١ /٥٢٤.

(٣) لقمان:من الآية (٣١).

(٤) القصص: من الآية (٧٧).

(٥) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٣٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتـــرى الهـــرة إن ريـــع بنوهـــا دافعـــت عـــنهم بعـــزم الأســـد

وفيها يقول:

ما أتينا هذه الدنيا اختبارا لا، ولا منها خرجنا طائعين

معصم قلد بالرغم سواراً وعلى الرغم قضاه بعد حين. (١)

ويتحدث غنيم عن الدنيا، وعن أمانيها العريضـــة، وعـــن ماضـــيه وطفولته السعيدة وعن شبابه الغائب الذي تلازمه صورته في كـــل وقـــت وحين، والذي يفجر كوامن أشجانه، ومـــا ذاك إلا لرقـــة إحساســـه ودقـــة مشاعره فيقول:

إذ العيش صفو، والحيـــاة رخيـــة كأنـــا بـــدنيانا أمنـــا الليـاليـــا

تـــزين دنيانـــا أمـــانٍ عريضـــة فما أجمـــل الـــدنيا وأحلـــى الأمانيـــا

زمانٌ تقضي في مراح وفـــي ددٍ فهل كنت فيه ناعم البـــال راضـــيا؟(٢)

لقد كنت أشكو فيه من غير علـــه فأصبحت من علاتـــي اليـــوم شـــاكيا

تشكي زهير من ثمـــانين حجـــة وإني لأشـــكو مـــذ بلغـــت ثمانيـــا (٣)

وأقسم لو أني رددت إلى الصـــبا لمـــا كـــان نـــوحى فيـــه إلا أغانيـــا

بكينا بدمع العين أزمنـــة مضـــت وكانـــت مزاياهـــا لـــدينا مســـاويا

(وما طيب عيش ليس يشعر أهله بلذتـــه إلا إذا صـــار ماضـــيا)

أرى صور الماضي تفزعنـــي إذا هجعت، وتعزوني إذا كنـــت صـــاحيا

---

(١) المرجع السابق: ص٧٣٣.

(٢) الدد: اللهو واللعب.

(٣) يقصد زهير حين قال: سئمت تكاليف الحياة ومن يعش:. ثمانين حولا لا أبا لـــك يسأم

راجع / شرح المعلقات العشر للزوزنـــي ص ١٥٠، ط/ منشـــورات مكتبـــة الحيـــاة، بيروت، (١٩٨٣م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيا ليتني أحيا ليومي وحده وليت لأمس من حياتي ماحيا
وما سرني من أمس عند ادكاره أدر لدمع العين مما شجانيا
(ويتعب في دنياه من دق حسه وأوتى ذهنا للحوادث واعيا) (١)

فالشاعر أدرك – بعد فوات الأوان – أن ماضيه الذي طالما تشكي فيه، خير من حاضره الذي يعيش فيه ويعلن حسرته وحزنه على صباه الذي يتمنى عودته حتى يملأه أغانيا ويحياه في سعادة من جديد، وهو في هذا ناظر إلى قول الشاعر:

رب زمان بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

وقد ذكر غنيم أن مما زاد ألمه وحزنه ما يتمتع به من رقة الإحساس ويقظة الشعور، وقد أثبت علم النفس الحديث ذلك.

وقد تحدث غنيم عن عدم ثبات الأحوال في الدنيا، وتقلبها المستمر وأكد على أن تلك هي سنة الحياة وناموس الكون وسنة الله في خلقه فقال:

يا رب جبار يصول بجنده أمسى بأيدي جنده مصلوبا
يا رب غيل بعد صيحة أسده قد بات يملؤه الغراب نعيباً (٢)

فدوام الحال شيء محال وقد قال الله تعالى: "وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ". (٣)

ويبين غنيم أن الدنيا مملوءة بالمتناقضات، الخير بجوار الشر، واليمين بجوار الشمال، فليس من خير دائم أو شر محض، لأنه يتنافى وفطرة الأشياء التي خلقت عليها، حيث يقول:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٤٥.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/ ٣٥.
(٣) آل عمران: من الآية (١٤٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من يطلب الخير محضاً عز مطلبه فإنما فطرة الأشياء تأباه[١]

هذا رأي غنيم في الحياة، أما رأيه في الأحياء فلم يختلف كثيرا، حيث غلفته النظرة السوداوية، فالإنسان في نظره قليل الهمة، كثير الكلام والمزاعم.

ما أضعف الإنسان مقـ ـدرةً، وأكثر ما ادعاه[٢]

والناس في نظره متقلبون كالزمان، فيهم الغدر، وعدم الوفاء حيث يقول:

الصلب بين الناس إن أنت استندت إليه واه
والليث فيهم ساعة الـ جُلي يفر فرار شاه
لا يؤمنون على الأذى والكلب مأمون أذاه[٣]

فهو يوازن بين الناس والكلب هول، ويبين أن الغدر متأصل في البشر، بينما الوفاء في ذلك الكلب الذي لا يعرف الغدر أبداً.

وفي الناس أيضا يقول محمود غنيم مفضلا الإنسان الآلي على بني البشر، فهو أنزههم يداً، وأطهرهم قلبا، كما أنه لم يقل فاحشة أبداً، ولم يعب إنسانا قط، ولم تصدر عنه أية إساءة لأحد، ومن ثم فقد حاز الفخار أجمعه:

يا أيها الرجل الآلي، هل لك في ود أساقيكه ماء وصهباء؟
تشابه الناس عندي في المذاق وإن تعدد الناس ألوانا وأسماء
لأنت أسلم - يا ابن الصلب - عاقبة من أنفس ملئت حقداً وبغضاء
أقسمت أنك بين الناس أنزههم يداً وأطهرهم قلبا وأحشاء
حييت فيك فتى، ما قال فاحشة يوما ولا عاب إنسانا ولا ساء[٤]

ويقول:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٠١/١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٠٩/١.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ١١٢/١.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٢٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آكلات اللحم في جوف الصحارى بم تقتات؟ أيقضى الليث جوعا؟
أعنز الوحش إذا ما الوحش حارا فهو لم يسمع بطه أو يسوعا[١]

ويقول أيضا:

وإذا نحن عذرنا الوحش عذراً فلعمري أي عذر للبشر؟
إن تحقق دولة عزا ونصرا فعلى أنقاض دولات أخر[٢]

ويشتد غضب غنيم على الناس الذين يعيش بعضهم على أشلاء البعض الآخر فيقول:

عالم يطلب بالموت الحياة بعضه على أشلاء بعض
يقف على رأس سواه كلما ضاقت به صفحة أرض[٣]

ويصور غنيم طبائع الناس وغدرهم ولؤمهم فيقول:

تعس الأنام، فمنهم تتعلم الفتك الذئاب [٤]

وفي موضع آخر يبين غنيم أن الذئب أخف وطأة من الإنسان حيث يقول في أسى بالغ:

قلت للذئب أنت وحش ضار قال أظفاركم شأت أظفاري[٥]
أفعار أن يقنص الذئب سخلاً واقتناص البعير ليس بعار[٦]
أفزع المرء كل شاءٍ وإبل وأخاف الطيور في الأوكار
استغاث العُقاب في الجو منه واتّقى النون شره في البحار[٧]

---

(١) المرجع السابق: ٧٣٣/١.
(٢) المرجع السابق: نفس الجزء والصفحة.
(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٣٤/١.
(٤) المرجع السابق: ٥٢٩/١.
(٥) شأت: سبقت.
(٦) السخل: ولد الشاة
(٧) النون: الحوت راجع الأبيات في الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٢٨٤/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولخير للشاة: مخلب ذئب من شعار المدى، وشى النار والبشر في نظر غنيم لا يصونون العهود، ولا يحفظون الأسرار حيث يقول: (ليس سري لدى البشر بمصون)[١]

ولعل هذا يفسر سر صب غنيم ذلكم السيل الهادر من الغضب على البشر وتفضيله الإنسان الآلي عديم الروح بل تفضيله الحيوان عليه، ولعله نظر في ذلك إلى الشنفرى حين ضاق ذرعا بمجتمعه وقومه فأعد العدة وقرر الرحيل إلى دنيا الحيوانات التي تصون عهده وترعى وده وتحفظ سره حين قال:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل[٢]
ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل[٣]
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل[٤]

وهذه الأشياء التي من أجلها هجر الشنفرى مجتمعه هي نفسها التي ذمها غنيم في بني البشر الغدر والملق والنفاق والتخاذل وعدم الوفاء، وزاد غنيم في ذلك مقابله الإحسان بالإساءة والجحود والنكران حيث قال:

رب شخص أنت أحسنت إليه فأساءك

---

(١) المرجع السابق:١/١٣٦.

(٢) حمت: قدرت وتهيأت، الحاجات: جمع حاجة ويعقد بها الرغبة والداعى إلى الرحيل. طيات: جمع طية وهي ما خفى في أعماق النفس من رغبات ونوايا.

(٣) دونكم: سواكم، أهلون: جمع أهل ذوو القربى والعشيرة، سيد: ذئب. عملس: قوي سريع، أرقط: النمر الذي في جلده بياض وسواد، زهلول: أملس ناعم، عرفاء جيأل: الضبع طويلة العرف.

(٤) ذائع:منتشر، الجاني: المذنب، جر: ارتكب ذنبا أو جنى جناية، يخذل: يتخلى. راجع الأبيات في ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق إميل يعقوب، ص ٥٨، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م)، لامية العرب للشنفرى: د/ عبد الحليم حفني ص٩، ط/ مكتبة الآداب بالقاهرة (١٩٨١)م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رب جـــــود جدتـــــه كـــــا ن مـــــن الـــــذم وفـــــاءك[١]

كما تميز غنيم عن الشنفرى بالفكاهة والمداعبة في بعض أقواله كقوله في حكمته الرائعة التي يداعب بها صديقا له:

الذئب لا يشتهي لحم ابن جلدته فكيـــف أوقـــع نشـــال بنشـــال[٢]

ثانياً: الحكم الأخلاقية:

أولى غنيم الأخلاق اهتماما كبيراً في شعره عن طريـــق ضـــرب الحكمة والمثل، فالأخلاق كانت وما زالت عماد الأمة، وسر قوتها وترابطها ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ويقول أحمد شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد أدرك غنيم هذا وساعده على ذلك بيئته ودراسته ونشأته الدينية وثقافته الأدبية، حيث يقول:

والشعب إن سلمت له أخلاقه ولسانه، لم يخش قطع الهام[٣]

ويقول أيضاً:

وإذا النفوس عرين من دين ومن خُلق فليس لهن أي قرار[٤]

ويقول كذلك في الأخلاق ونبذ الرذيلة، مؤكدا علـــى أن الأخـــلاق أســـاس الملك:

الملـــك بـــالأخلاق يُبنـــى أسُـــه لا بالمجـــازر والـــدم الســـفاح

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٢٦١ و ٢٦٣.

(٢) المرجع السابق: ١/٢٥٣.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٩٥.

(٤) المرجع السابق: ٤١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الرذيلة شر ما نحيا به وأشده خطراً على الأرواح[١]

ومن الأخلاق التي تحدث عنها غنيم خلق التسامح وعفة النفس حيث يقول مفتخرا بتسامحه وعزته وإبائه وكرم نفسه:

تصفحت أيامي فلم تر مقلتي بمعجمها سطراً بقدرى زاويا
فلست أبالي عادى الموت بعدما حييت عيوف النفس، للضيم آبيا
إذا ملأ الحقد الصدور، فإنني لأحمله صدراً من الحقد صافيا
وما أنا والحقد الدفين أكنه بصدري؟ وإني ما عرفت الأعاديا
تسامح نفسي لم يدع لي شائنا وإن زاده هذا السماح تماديا
ولم أتسامح عن صغار، وإنما يسامح مثلي كبرة وتعاليا
وأعرض عمن لا أود لقاءه ولا يبلغ الإعراض عنه التقاليا
وزهدني في كسرة الخبز أنني وجدت صراعا حولها، وتفانيا
ومن كلب الدنيا على كلب الغنى تمنيت لو أقضى حياتي طاويا
خليلي حتام التعلل بالمنى؟ دعاني، فإني قد عرفت مكانيا
كفاني من الإنجاح ما قد أصبته ومن فشل ما كنت فيه ملاقيا
وكيف طموحي بعد أن شاب مفرقي بحسبي من دنياي: زادي ومائيا[٢]

فعلى الرغم من أن الشاعر يتحدث عن نفسه إلا أنه يمكن أن نعتبر كل بيت حكمة مستقلة يصلح لموقف مشابه، وهذا من سر نجاح غنيم، حيث لم تعد الأبيات الحكمية أبياتا مفردة، وإنما هي جزء لا يتجزأ من التجربة الشعورية.

وفي قصيدة (صفاء النفس) يتحدث غنيم إلى نفسه طالبا منها أن تصفو وألا تحمل الحقد والضغينة، وأن ترق للأحبة والخصوم، وألا تتكالب على الدنيا ونعيمها فهو نعيم زائل، بخلاف نعيم الآخرة في جنان الخلد الذي

---

(١) المرجع السابق: ٤٣٣/١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٧٤٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يبقى على الدوام، فيقول:

ألا يـا نفـس، لـو تصـفين يومـا لكنـت أرق مـن مـر النسـيم
ألا يا نفس، ويحـك لسـت نفسـي إذا حاولـت نـيلاً مـن غريمـي
فسلى الضغن من جنبـات صـدري ورقـى للأحبـة والخصـوم
وكوني من حبـاب المـاء، أو مـن عبيـر الزهـر، أو ألـق النجـوم
إذا، ما الحرب حول الـزاد قامـت فخلـى الـزاد ناحيـة، وصـومى
متـى يـا نفـس لا تبـدين زهـوا بمـا أحـرزت مـن حـظ عظـيم؟
متـى ألقـاك لا تلقـين بـالاً لمـا يعـروك مـن خطـب جسـيم؟
وكـل لـذاذة تفنـى، ويبقـى متـاع الخلـد فـي دار النعـيم
وحسـبك سلسـل الفـردوس راحـاً وسـرب الحـور حسـبك مـن نـديم
وأيـن الحـور مـن نـدمان سـوء وخمر الخلـد مـن حلـب الكـروم[1]

وتدل تلكم الحكم الرائعات على رهافه الحس ورقة الشعور ونقـاء السريرة، وحب الخير للناس أجمعين التي يتمتع بها الشاعر حتى إنه ليشفق على أهل الجحيم مما هم فيه من شقاء ويتمنى أن تدركهم رحمة الله التـي وسعت كل شيء حيث يقول في ختام القصيدة السابقة:

إلـى الله اتجهـت بكـل قلبـي وأسـاله السـعادة للعمـوم
سـألت الله للمثـرى مزيـدا مـن النعمـى، ويسـراً للعـديم
سـألت الله يمحـو الـداء محـوا فـلا تقـع العيـون علـى سـقيم
سـألت الله للعـاني انطلاقـا وعطـف أب وأم لليتـيم[1]
سـألت الله للـدنيا سـلاما يعـيش الليـث فيـه مـع الظلـيم

---

(١) ندم على الأمر ندما: أسف عليه وكرهه، وهو ندمان وهي ندمانة، والجمع ندامى، وحلب الكروم: الحلب مصدر بمعنى اسم المفعول مثل جنـى. راجـع الأعمـال الكاملة لمحمود غنيم ١/٧٥٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولـــولا أننـــي أدري بقـــدري سـألت الله فـــي أهـــل الجحـــيم
وقلت لـــه: أتصـــلى النـــاس نـــاراً وقـــد ســـميت نفســـك بـــالرحيم؟

ويقول غنيم في بيتين له بعنون" تعلم كيف تنسى ": إنـــه ســـريع الصفح عمن يسيء إليه، فالصفح والنسيان يجلبـــان الراحـــة والطمأنينـــة، بخلاف التذكر الذي لا يخلف إلا الدمار والحسرة والندامة والأسى والعذاب.

ورب أخ أســـاء إلـــيّ لـــيلاً أصـــافحه إذا طلـــع النهـــار
ومن لم ينس- أو يتناس- مضنىً وقـــد يـــؤذى ابـــن آدم الادكـــار[٢]

ويعتبر الصبر من القيم الخلقية التي أفاض فيها غنيم وأجاد، فلطالما نادى غنيم بالتحلى بالصبر في كل وقت وحال، في الفقـــر والغنـــى، فـــي الصحة والمرض، وعلى العموم الصبر في الســـراء والضـــراء، ورأى أن الصبر ثروة من لا ثروة له، وشفاء من لا دواء له، حيث قال:

مـــا مـــع الصـــبر لعمـــرى فاقـــة إنمـــا الصـــبر علـــى الفقـــر ثـــراء
مـــا مـــع الصـــبر لعمـــرى علـــة إنما الصـــبر علـــى الـــداء شـــفاء[٣]

وفي الصبر على متاعب الحياة يقول غنيم:

وإذا جعت فامضغ الصبر ما أحـــ ـــلاه في ذلك الزمان مذاقا[٤]

حيث يوجهنا غنيم أن نتخذ الصـــبر عـــدة لمواجهـــة الخطـــوب والأحداث الجسام، بل ينبغي أن يكون الصـــبر عـــدة الإنســـان فـــي كـــل الأحوال..

وما أروع الصورة الشعرية التي صورها في بيته هذا، حين صور

---

(١) العانى: الأسير راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ١/ وما بعدها٧٥٦.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٥٧.
(٣) المرجع السابق: ١/٧٥٧.
(٤) المرجع السابق: ١/٢٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصبر في صورة طعام شهي يمضغ، وإنه لأنسب طعام لذلك الزمان على حد قول الشاعر.

ويفتخر غنيم بأنه صبور على ريب الزمان التي ينوء بحملها كل حليم حيث يقول:

وأصبر في الحياة على هموم تضيق ببعضها ذرع الحليم [١]

وتطالعنا هذه الحكم الرائعة في قصيدة فلسفة الألم لغنيم التي يقول فيها:

من كان حر الهموم يصهره فإن حر الهموم يصقلني
والهم يجلو النفوس إن صدأت والهم فيه رياضة البدن
والله، ما نقمة بلا عوض كلا، ولا نعمة بلا ثمن
كم منة أعقبت أذى وأذى في طيه منّةٌ من المنن
لا يرنى الناس شاكيا أبداً فإنما يشتكي أخو الوهن
أعددت للحادثات إن نزلت صبر كريم، بحملها قمن[٢]

فالشاعر ينظر إلى الهموم تلك النظرة الفلسفية الباسمة، فهو يرى أن الهموم تصقله وتقويه وفي طياتها المنن الكثيرة، وأنه أعد للحاثات صبراً جميلاً، وأخذ على نفسه عهداً ألا يراه الناس شاكيا أبد الدهر.

وفي وجوب التحلي بالصبر وعدم الإذعان لهموم الدنيا يقول غنيم:

ومن ضاق ذرعا بدنياه، ضاقت عليه، وإن هي كانت براحا
وإن حاربتنى صروف الزمان شهرت عليها احتقارى سلاحا
فما عاش حتى أطال الهموم ولا مات حتى أطال المراحا[٣]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٤٢/١.

(٢) المرجع السابق: ٤٦٩/١ وقمن بمعنى جدير.

(٣) المرجع السابق: ٤٧١/١. والمراح: الخفة والطرب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويؤكد ذلك بقوله:

ولعمري لو يبعث الدمع ميتا ابكينا بدمع بنت الشريد[١]

إنما يقهر الخطوب حكيم ذو فؤاد على الخطوب جليد

اهزلي، فالحياة يا نفس هزل إن من جد عاش غير سعيد[٢]

ويرى غنيم أن الرجل الحر الأبى لا يتشكى أبداً، ولكنه تحت الضغوط النفسية والعصبية وحين يبلغ الأمر مداه ويجاوز الحد، فإنه لا يجد مندوحة من أن يتشكى لعله يجد من يسليه حيث يقول:

لا تليق الشكاة بالرجل الحـ ر، ولكن قد فاض ماء الإناء[٣]

ويقول أيضاً:

يفيض لسان المرء إن ضاق صدره ويطفح زيت الكيل، والكيل مفعم[٤]

ومن الأخلاق التي ذكرها غنيم في حكمه العزة والكرامة والشرف والإباء والترفع عن الذلة والهوان حيث يقول:

قل لمن سيم في الحياة هوانا كن عزيزا، أو لا تكن إنسانا[٥]

ولخير لصاغر لبس الذل رداءً أن يلبس الأكفانا[٦]

ويقول في عزة وشموخ:

---

(١) بنت الشريد: الخنساء، وقد ضرب بها المثل في الحزن لحزنها الشديد على أخيها صخر.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٥١٨/١.

(٣) فاض ماء الإناء: يقصد أن الأمر قد بلغ مداه، راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٥٦٣/١.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٣/١.

(٥) سيم الهوان: حمل عليه.

(٦) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٥٦٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من يرض بالعيش في ظل الهوان فــلا آوتــــه أرض، ولا قــــرّت نـــواظره
والمـــرء تشـــقيه يمنـــاه، وتســـعده وإن تكـــن بيـــد المـــولى مصـــايره[١]

والشاعر متأثر في هذين البيتين بأبي الطيب المتنبى حين قال:

عش عزيـــزا أو مـــت وأنـــت كـــريم بـــين طعـــن القنـــا، وخفـــق البنـــود
فـــرؤوس الرمـــاح أذهـــب للغـــيظ وأشـــفى لغـــل صـــدر الحقـــود
فاطلب العز فـــي لظـــى ودع الـــذل ولـــو فـــي جنـــان الخلـــود[٢]

ومن ذلك قول عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل[٣]

ويرى غنيم أن صبر الحر على المذلة والهوان والضيم من الكبائر حيث يقول:

صبر الكريم على المذلـــ ـــة والأذى إحدى الكبائر[٤]

وإذا كان غنيم عد احتمال المذلة إحدى الكبائر، فإن أبـــا الطيـــب المتنبى يرى الموت أخف وطأة من الحياة الذليلة، حيث قال:

ذل مـــن يغـــبط الـــذليل بعـــيش رب عيش أخـــف منـــه الحمـــام[٥]
..... إن المنيـــة عنـــد الـــذل قنديـــد[٦]

ويقول حافظ في نفس المعنى:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٧/١.
(٢) شرح ديوان المتنبي: ص٧٩ ط/ دار مكتبة الحياة، بيروت (١٩٩٢م).
(٣) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي: تقديم وشرح / مجيد طراد، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٨٦/١.
(٥) شرح ديوان المتنبي: ص٢٤٥
(٦) شرح ديوان المتنبي: ص١١٢، وقنديد: عسل قصب السكر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فما عصمتني من زمـاني فضـائلي ولكن رأيت المـوت للحـر أعصـما

وتحدث غنيم عن الحلم فقال في قصيدة الأسد السجين:

لا يخـدعنكم الهزبـر بصـمته فلعل في صدر الهزبـر أتونـا[١]

ولعله نظر في هذا البيت إلى قول المتنبي:

إذا رأيـت نيـوب الليـث بـارزة فـلا تظـنن أن الليـث يبتسـم[٢]

كما تحدث غنيم عن الكرم والسخاء فقال:

وكـم أهلـك المـال مـن حـازه إذا المـال لـم يقتـرن بالسـخاء[٣]

فهو يحث على الإنفاق والبذل والعطاء، ويبغض إلينا الشح والإمساك.

كذلك فإن غنيم تحدث عن الصفح والغفران وتلمس الأعذار فقال:

لا تأخذوا بالذنب غير جناته إن الصواب تلمس الأعذار[٤]

وهو في ذلك متأثر بأحمد شوقي حين قال:

رزقت أسمح ما في الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر في الشيم[٥]

فالتماس العذر للناس من أرفع الشيم وأنبلها التي يتحلى بهـا الإنسـان

ولذلك قال الله تعالى:

"ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ".[٦]

ثالثاً:الحكم الاجتماعية:

كان غنيم من أبناء الطبقة الوسطى في المجتمع المصري، لذا فقد

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٢٤٦/١ والأتون: أخدود تضرم فيه النار.

(٢) شرح ديوان المتنبي:ص٢٦١.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٧/١.

(٤) المرجع السابق: ١٩٣/١.

(٥) ديوان شوقي: شرح د/ أحمد الحوفي، ج١ص٦١٨،ط/ دار نهضة مصر(١٩٨٠م)

(٦) سورة فصلت من الآية:(٣٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاش أحزانه وأشجانه وأفراحه وشارك في كل المجالات الاجتماعية من خلال شعره، ومن أبرز الموضوعات التي تناولها غنيم في شعره الحكمي:

قضية التعليم والمعلمين:

شغلت قضية التعليم والمعلمين ذهن شاعرنا محمود غيم، وخاصة أنه كان يعمل في الحقل التعليمي وقريبا من الواقع الذي يعيش فيه المعلمون، ويلامس المشاكل التي تواجه التعليم وتعوقه عن التقدم والرقي، فضلا عن أن غنيم كان يجل العلم ويتخذه زاده الذي لا يشبع منه أبد الدهر، حيث يقول في النهم والاستزادة من العلم:

والعلم زاد ليس منه قناعة بل فيه تحمد كثرة الأطماع[١]

ويقول غنيم في العلم والمعلمين في قصيدته: (في مهرجان العلم، التي ألقيت في أحد الاحتفالات بعيد العلم:

والعلم روح من الرحمن مقتبس ونوره من ضياء الله مكتسب
قل للمعلم: قد أديت ما يجب حسب المعلم فخرا ذلك اللقب[٢]

والعلم في نظر غنيم بحر زاخر يحتاج إلى الغواص الماهر كما أنه حلو المذاق، ولكن لن يذوق شهد العلم إلا من يتحلى بالصبر والجهد والمعاناة، حيث يقول:

العلم بحر زاخر فاضرب بزندك في عبابه
لم يجن شهد العلم إلا من تجرع كأس صابه[٣]

ويرى غنيم أنه لابد أن يقترن العلم بالأخلاق، وحسن الطبع وكريم

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٤٥/١.

(٢) المرجع السابق: ص٦٠٧.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٠٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلال، فيقول:

ما خير علم لم يزود ربه بكريم أخلاق، وحسن طباع؟

وهو في هذا البيت ينهج نهج حافظ إبراهيم ويلتمس خطاه حين أشار إلى أن العلم بدون أخلاق لا قيمة له وذلك في قوله:

والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق
فإذا رزقت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق[1]

وفي قصيدة (غزو الفضاء) يتساءل غنيم عن سر القمر، وكيف يعيش أهله وساكنوه ؟ وهل هناك صيف وشتاء ؟ وهل هناك حياة على سطح القمر؟ وما طبيعة تلك الحياة؟ ويتمنى غنيم أن يكشف العلم عن سر تلك الأسئلة في يوم من الأيام، فليس ذلك ببعيد عن العلم الذي لا يستعصى عليه شيء في هذا الوجود، حيث يقول:

مع العلم نحن على موعد وآمل ألا نطيل الغيابا
فقد يكشف العلم هذى الرموز وقد يتسلق تلك القبابا
ولن يقف العلم إن هو صح ولن ييأس العلم إن هو خابا
(وليس يعز على العلم شيء وكيف، ومنه رأينا العجابا؟)[2]

فهو يتمنى أن يكشف العلم الحديث عن تلك الرموز، ويزيل الحجب عن تلك الحقائق، ويؤكد على أن العلم في تقدم مستمر، مادام علما مبنيا على أسس سليمة وقواعد ثابتة راسخة، ولم لا ؟ وقد أتى العلم بالعجب العجاب مما أبهر الناس والمجتمع العالمي.

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم: شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري،ص ٢٨٠، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٧).

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/٧١٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أن أكثر ما شغل غنيم هو المعلم الذي يعتبر عماد العملية التعليمية، حيث تحدث غنيم عن إهمال المعلم وعدم تقديره حق قدره.. وقد أجاد غنيم في ذلك لأنه عايش تلك الحياة بنفسه إذ عمل في تلك المهنة، وعانى بنفسه أشد المعاناة ومن ثم فقد رثى للمعلم ورق لحاله وقال:

فمن كان يرثى قلبه لمعذب فأجدر شخص بالرثاء المعلم[١]

ويشكو من ضآلة مرتبه الذي لا يكاد يسد رمقه، والذي سرعان ما يتفلت من بين أصابعه "كالماء خانته فروج الأصابع" فيقول:

ولي راتب كالماء تحويه راحتي فيفلت من بين الأصابع هارباً
إذا استأذن الشهر التفت فلم أجد إلى جانبي إلا غريما مطالبا
فأمسيت أرجو نعيه يوم وضعه وليس الذي يمضي من العمر آئبا[٢]

ويتحدث عن العلاوة والكادر وعن تلهف الموظفين عامة والمعلمين خاصة عليهما وانتظارهما لعلهما يفرجان كربهم ولكن هيهات، وأني لهم ذلك وقد جاء الكادر مضغوطا بفعل من يتفنون في التضييق على الناس فيقول:

ضغطوا الكادر الجديد إلى أن لبسته أعناقنا أطواقا
اختزال يجيء إثر اختزال من قلوب لا تعرف الإشفاقا
كم مشينا إلى العلاوة حبوا وامتطى غيرنا إليها البراقا[٣]

ويقول متسائلاً في حسرة بالغة:

أما من سبيل وغيرنا يرى سبلا شتى لها ومذاهبا[٤]

---

(١) المرجع السابق:٢٣٤.

(٢) المرجع السابق:١/٢٤١.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/ ٢٤٤.

(٤) المرجع السابق: ٢٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحين يرقى غنيم إلى التفتيش، ظن أنه سيغنيه مما منه يشكو، ولكنه كان كالسراب الخادع، والنقد الزائف ومن ثم راح يعلن أنه لم يفرح بتوليه ذلك المنصب، ولن يأسف عليه حين يتركه حيث قال:

وما سرني التفتيش حين وليته ولا أنا إن ولي عليه بآسف
لقد خلته يغنى عيالى من الطوى فكان كمضروب من النقد زائف
وزارة مهضومين ليس بقابض فتى يرتقى فيها وليس بصارف[1]

ولطالما نادى غنيم بتحسين أحوال المعلم الذي يبني العقول ويربي الأجيال والذي يبذل قصارى جهده في سبيل مهنته حتى شحب وجهه، وجافاه النوم وجانبته الراحة وأصبح حالة لا يخفى على أحد حيث يقول في شكوى أحوال المعلمين في تحية وزيرهم آنذاك:

خلق السهاد لجفنه ولوجهه خلق الشحوب
هبو في الفصول ممثل آنا، وآونة خطيب
وإذا أدلهم الليل والـ ـتقت المضاجع والجنوب
أمضي سواد الليل وهـ ـو لكل شاردة طلوب
إن المعلم خبزه بمداده القاني مشوب[2]

ويتحدث غنيم عن آلام المعلمين وآمالهم وذلك في الحفل الذي أقيم بنادي المعلمين عام ١٩٥٠ تكريما للدكتور طه حسين وزير المعارف آنذاك، ويهيب به أن يكون خير نصير ومعين لهم لأنه من جنسهم وأقرب الناس إلى قلوبهم حيث يقول:

ومن يلق الحقوق مقيدات فيعصف بالسلاسل والقيود

---

(١) المرجع السابق: ص٢٤١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/ ٢٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هما عزمان: عزم من زجاج لدى الجلي، وعزم من حديد[١]
أيحيا الناس في بذخ وعز ونحيا مثل زهاد الهنود[٢]
وما شط المعلم أو تجنى ولا هو هام بالعيش الرغيد
بل التمس الكرامة في زمان به الأقدار توزن بالنقود
إذا ما الشعب ضن على مربى بنيه، فليس بالشعب المجيد
وينطبع الوليد على هوان إذا ما هان أستاذ الوليد

ويرى غنيم أن المعلم يغذى النشء من روحه، ويرويه من عصارة فكره بإخلاص دون تطلع إلى جاه أو سلطان فيقول:

يا رب نشء غذاه من حشاشته ومن عصارة ماء الفكر روّاه
لم يبغ من كده جاها ولا نشباً لكن رضاؤك أقصى ما تمناه[٣]

ويؤكد غنيم على حق المعلم في العيش الكريم فهم لا يطلبون نعيما ولا ملكا كبيرا، وإنما يطلبون صون كرامتهم واحترام آدميتهم، وأنه لن ترتقي مصر أبداً إلا بتقدير المعلم فهو الأساس الأول في النهوض بالعقول وتهذيبها وتربية النشء الذين هم عماد الأمة وعدة المستقبل حيث يقول:

إننا نطلب الكرامة والعيـ ش ولسنا بغير ذاك نبالي
قل لمصر: لن تبلغ المجد مصر والمربون موضع الإهمال
فئة بثت الكرامة في النشـ ء وكادت تذوق ذل السؤال[٤]

وفي موضع آخر ينشد غنيم للمعلم الراحة النفسية التي تغنيه من العوز

---

(١) الجلي: الشدة والضمير في هما يعود على عزمان بعده، ومثله قول تأبط شراً.
هما خطتان: إما إسار ومنة، وإما دم، والقتل بالحر أجدر.

(٢) زهاد الهنود: مضرب الأمثال في الخشونة والتقشف، راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٥٣٨/١ وما بعدها.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/ ٢٩١.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/ ٥٥٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإقلال حيث يقول:

حسب المعلم راحة نفسية تغنيه إذ يشكو من الإقلال
ما بعد تقويم النفوس سعادة أو بعد محو جهالة الجهال
ما ضره عرض سليم فوقه ثوب رخيص أو قميص بال[١]

وما ذاك بكثير على المعلم والمربي الذي يكفيه فخرا أن كل القادة والزعماء في مصر تعد من أبنائه: حيث يقول:

حسب المعلم أن كل مظفر في جيش مصر يعد من أنجاله[٢]

وكان غنيم منصفا وعادلاً، فكما نادى بحقوق المعلمين واحترامهم وتقديرهم، كذلك طالب المعلمين بأداء واجباتهم المنوطة بهم وعلى أكمل وجه في تربية النشء تربية أصيلة وأن ينهضوا بالتعليم وأن يبحثوا عن مواطن القصور ويعملوا على الارتقاء والإصلاح، وأن يشخصوا الداء ويصفوا الدواء حيث يقول:

أمعلمي الوادى عليكم واجب لم يضطلع أسلافكم بمثاله
الجيش حرر مصر أجمعها فمن للعلم في مصر بحل عقاله
إني لألمح الاحتلال مقنعا يتقمص التعليم في أشكاله
فاستأصلوا من مصر ما غرست يدا "دنلوب" حانت ساعة استئصاله
العلم كان بمصر بابا مقفلا فلتنزعوا الأختام عن أقفاله
العلم أدركه الهزال فنقبوا عن سر شكواه وسر هزاله[٣]

ونبه غنيم المعلمين إلى أنهم عماد الأوطان وطريق النصر، ومضرب الأمثال في التضحية والفداء فقال:

---

(١) المرجع السابق: ١/٩٠١.
(٢) المرجع السابق١/٣٢٧.
(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/ ٣٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى يديكم سوف ينتصر الحمى وتعود أمجاد لمصر خوالى
وتذوق ما ذاق التتار عصابة هي في الشراسة مضرب الأمثال[١]

وينصح غنيم المعلمين بعدم التبرم أو الشكوى من ثقل مهمتهم، لأن الشكوى ذلة ومهانة، وينبغي عليهم أن يجدوا في عملهم وأن يتميزوا بالجد والشجاعة والثبات كالطود الشامخ فيقول:

الكل شاك حظه متبرم هيهات أن يرضى الأنام بحال
والحر من حمل الحياة بمنكب كالطود لا يشكو من الأثقال

ويهيب غنيم بالمعلمين أن يكونوا قدوة لغيرهم فهم قبلة النظار، وموضع الإجلال من الناس، ومن ثم فينبغي الترفع عن كل ما يشين النفس ويكدر سجل الأخلاق فيقول:

الناس تصفح عن سواك وإنما يزنون ذنبك أنت بالمثقال
أقسمت ما جاروا عليك وإنما وضعوك منهم موضع الإجلال[٢]

وقبل كل ذلك أو بعده يرى غنيم أن المعلم يجب أن يختار بدقة وعناية فائقة من ذوى المهارات الخاصة ومن يتمتعون بالعلم الوافر وأصقلته التجارب والخبرات لينجح في مهمته أيما نجاح حيث يقول:

وأحق من ساس الصغار محنك صقلته دور العلم أي صقال[٣]

ولم ينس غنيم أن يخص النشء بشيء من شعره، حيث قال في مقطوعة له بعنوان: "أيها النشء":

تعلموا في ربيع العمر، واقتنصوا من كل سفر مفيد خير ما فيه
وحصلوا، إنما التحصيل في صغر نقش على الصخر لا يمحوه ماحيه

---

(١) المرجع السابق: ١/٩٠٤.
(٢) المرجع السابق: نفس الجزء والصفحة.
(٣) المرجع السابق: ١/ ٩٠٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعب إن ينتصر بالعلم ينصره والشعب إن يذّرع بالعلم يحميه[١]

وقوله: "إنما التحصيل في صغر نقش على الصخر" مأخوذ من قولهم: "العلم في الصغر كالنقش على الحجر".

وهكذا تحدث غنيم عن فضل العلم وأهميته في سبر أغوار الحقائق، كما تحدث عن وجوب الاهتمام بالمعلم لأنه عماد العملية التعليمية، كذلك هاب غنيم بالمعلم أن يؤدي دوره، وأن يقوم برسالته على أكمل وجه، فعليه واجبات كما أن له حقوقا، كما تحدث عن النشء، وبذلك يكون غنيم قد أحاط بالقضية من كافة جوانبها.

قضايا المرأة:

أدلى غنيم بدلوه في الدلاء وشارك برأيه وشعره الحكمي في قضايا المرأة المختلفة ومن تلكم القضايا قضية تعليم المرأة، حيث رأى غنيم أن العلم يلزم الفتاة كما يلزم السيف المقاتل، وأن العلم والتربية السليمة حماية لها وصيانة من الشرور التي تحدق بها فقال:

العلم ألزم للفتا ة من المهند للقتال
ربّ الفتاة وألقها بين الذئاب، ولا تبال[٢]

ويشارك أحمد الزين [٣] محمود غنيم هذا الرأي بقوله:

ها علموها وافعلوا ما شئتم فالعلم حصن لا يكاد يرام[١]

---

(١) المرجع السابق: ١/٦١٠.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/١٦٤.

(٣) هو أحمد أبو المعاطي الزين ولد (١٩٠٠م) بإحدى قرية محافظة الغربية. كان كفيف البصر، حصل على العالمية من الأزهر ١٩٢٤م واشتغل بالمحاماة ثم عمل بدار الكتب حينا آخر، توفي عن عمر يناهز التاسعة والأربعين عاما، وله عدة دواوين جمعها عبد الغني المنشاوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك شارك غنيم في قضية حجاب المرأة وكان من أنصار السفور حيث قال:

لا تضيقوا بالمعصم المكشوف وتقولوا: خير الجمال المصون
ما غناء الشذى بغير أنوف قيمة الحسن أن تراه العيون[٢]

حيث يشبه الجمال بالشذى والرائحة الطيبة التي ينبغي أن تشمها الأنوف، وكذلك فإن الجمال يجب أن تراه العيون.

ونلاحظ هنا أن غنيم قيد السفور بالمعصم دون سائر الجسد.

ويقول غنيم أيضاً في الحجاب والسفور والمساواة بين الرجل والمرأة في شتى ميادين الحياة:

قل للفتاة: لقد أصبحت في زمن للستر والخدر لم تخلق غوانيه
سيري جوار الفتى في كل معترك وفي مجال العلا، والعلم باريه[٣]
إن الحمى بفتى والفتاة معاً كل عليه له دين يؤديه
الطفل يرضع من أخلاق مرضعه قبل اللّبان التي تنصب في فيه
ما أنتجت أمة من أهلها بطلا إلا ومن خلفه أنثى تربيّه[٤]

فالمجتمع لا ينهض إلا بالرجل والمرأة معا ولكل مسؤولياته وواجباته المنوطة به،وهؤلاء الأبطال الذين نراهم في كل واد وناد وراءهم في الأصل من يساندهم من الأمهات والزوجات، وكما يقولون "وراء كل عظيم امرأة".

غير أن غنيم قد عدل عن رأيه في الحجاب، ورأى أن حجاب المرأة يعكس عليها من البهاء والجمال والاحترام في نفوس الناس حيث يقول في

---

(١) ديوان أحمد الزين: ص٢٨.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/١٤٥.

(٣) باريه: بمعنى نافسيه.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٦١٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قصيدته" (حمائم الحرم):

سرب من الآرام ما حواه بان أو علم[1]
حسناء إلا أن هذا الحسن، بالتقوى اتسم
ذات جمال خالص لله غير متهم
من حلل بيض عليها طابع الزهد ارتسم
فضفاضة، لكنها كالبدر فيها أو أتم
لا ثوبها بخصرها وشى، ولا بالصدر نم
(والحسن كم يزداد حسنا إن هو احتشم)[2]
أقسمت بالستر وبالـ حجر، وأعظم بالقسم
(إن الصلاح في الحسا ن الغيد من أحلى الشيم)
(إن الجمال عفة وحسن طبع وكرم)
(ليس الجمال الابتذا ل واستباحة الحرم)
(بعض النساء نعمة من عند وهّاب النعم)
وبعضهن كالبرا كين، رجوم وحمم

وفي موقف آخر ينعى غنيم على من يرمى الأنثى بالضعف والوهن ويفرق بيها وبين الذكر، مؤكدا أن الأنثى لديها من القدرة ما لديها بما لا يفرق بينها وبين الرجل في شيء ضاربا المثل بأنثى النحل التي تدير مملكتها فيقول:

ولا تقل هذه أنثى وإن ضعفت أما تُدبّرُ ملك النحل أنثاهُ ؟[1]

---

(١) الآرام: جمع رئم وهو الظبي والمقصود به هنا الحسان.

(٢) ورد هذا البيت في الطبعة الأولى للديوان، وهو مكسور في شطره الثاني، وقد ورد في بعض نسخ القصيدة تصحيح لهذا البيت: ما أجمل الجمال في العيون إن هو احتشم وهو أجمل معنى، وأصح وزنا. راجع: الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاستفهام في البيت للتقرير، أتى به الشاعر ليؤكد قدرة الأنثى على إدارة الأمور.

ومن القضايا الاجتماعية التي عالجها غنيم في شعره الحكمي **قضية الفقر والغنى**، حيث كان غنيم - كلما سنحت له الفرصة - يشكو رقة حاله، وضعف راتبه وعدم تقديره حق قدره.

فها هو ذا يسخط على تلك المفارقات والمتناقضات التي سادت عصره، حيث ساد الجهال، واكتظت جيوبهم بالأموال، بينما العلماء والأدباء وهو منهم في شظف من العيش.

بلد تسربل بالحرير جهوله ومشى الأديب فيه بلا سربال
أبصرت باب الرزق فيه مفتحا إلا عليّ فمحكم الأقفال
إن شئت أن تحيا بمصر فلا تكن حيّ الضمير تعش خليّ البال[٢]

ويتساءل عن تفاوت الحظوظ بين الناس أو سر ذلك التفاوت الطبقي الرهيب بين الناس، وسوء توزيع الثروات بين الناس حتى لتكال الأموال في جيوب بغض الناس، بينما صغار الموظفين لا يجدون حقوقهم فيقول:

مالي أرى أموال مصر كأنها بعض الحبوب تكال بالمكيال
حتى إذا طلب الصغير حقوقه شكت الخزانة قلة الأموال
فاز السعيد بعمه وبخاله وفقدت عمى في الحياة وخالي[٣]

ويقول غنيم في موضع آخر في أسى بالغ عن تدهور حالة الموظف وأظنه يعني نفسه:

ويح مصر أرى الموظف فيها حمل العبء وحده فأطاقا

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/١٠٠.
(٢) المرجع السابق: ١/ ٢٤٠.
(٣) المرجع السابق: ١/ ٢٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قَـــروا جهـــدهم عليـــه وقـــالوا لا تكـــــن ناهبـــــا أو ســـــرّاقا
ما لكم والثياب؟ إن أباكـــــــم آدماً كان يلبس الأوراقـــــــا[١]

ومن ثم يوصي غنيم أحد أبنائه بأن يكون امرءاً عمليا حتى يكـون من الأثرياء فيهابه الناس ويحترمونه، فلطالما احترم الناس الثرى ولم يعبأوا بالأديب فيقول:

أبوك امرؤ مـن رجـال الكـلام فكن أنت يـا بنـي امـرءاً عمليـا
فمـا احتقـر النـاس إلا الأديـب ولا احتـــرم النـــاس إلا الثريـــا

وتلك حقيقة يقرها الواقع ويصدقها العقل، لأن للمال بريقه في كـل الأحوال وأن الناس يميلون نحو الغنى ويوقرونه وينفـرون مـن الفقيـر ويحتقرونه. وفي الفقر ذلة ومهانة وصغار، بينما في المال تجلـة ومهابـة ووقار، وفي ذلك يقول عروة بن الورد مبينا أثر المال في رفع النـاس أو خفضهم في الحياة:

المـــال فيـــه مهابـــة وتجلـــة والفقـــر فيـــه مذلـــة وفضـــوح[٢]

والمال يكسب أهله الحمد والثناء، وفقد المال يزرى بصاحبه وينزل به إلى الدرك الأسفل من الحياة ويصيبه بالهوان على الناس وفي مقـدمتهم الأهل والأحباب، وذلك كما يقول مالك بن حريم:

أنبئـــت والأيـــام ذات تجـــارب وتبـــدي لـــك الأيـــام مـــا لســـت تعلـــم
بـــأن ثـــراء المـــال ينفـــع ربـــه ويثنـــي عليـــه الحمـــد وهـــو مـــذمم
وإن قليـــل المـــال للمـــرء مفســـد يحـــز كمـــا حـــز القطيـــع المحـــرم

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/ ٢٤٤.

(٢) شعر عروة بن الورد: ص٨٨. تحقيق د. محمد فؤاد نعناع ط/ الخانجي بالقـاهرة (١٩٩٥م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرى درجات المجد لا يستطيعها ويقعد وسط القوم لا يتكلم[١]

وهكذا أبو العتاهية يقول:

قد بلونا الناس في أحوالهم فرأيناهم بذى المال تبع[٢]

ويقول أيضاً:

تقلبت في الدنيا تقلب أهلها وذو المال فيها حيث ما مال يتبع[٣]

وهذا كله يؤكد ما ذهب إليه غنيم من أن المال له فعل السحر في النفوس فصاحب المال مسموع كلامه، مطاع أمره، مهاب بين الناس، يعظم في حضوره، ويحترم في غيبته بخلاف الفقير فهو عكس ذلك كله. ويتعجب غنيم من تصاريف القدر، ويرى أن الله قسم الأرزاق لحكمة إلهية فيقول:

وأرى لله تدبيرا خفيا ونظاما عبقريا في العطاء
خلق الناس، فقيرا وغنيا ومتاع الكل في الدنيا سواء[٤]

ويوضح أن المال لا يسعد أحداً وأن الفقر لا يشقي أحداً كذلك فكم من أغنياء صاروا بالمال سعداء وعلى النقيض كم من أغنياء صاروا بالمال أشقياء، وكم من فقير أفسده الفقر ولكن في الوقت نفسه كم من فقير أحب الحياة وتغلب على تصاريفها ومشقاتها وتحدى نفسه وفقرها وصار من العباقرة الأفذاذ، يقول غنيم:

---

(١) شرح حماسة أبي تمام: للمرزوقي، المجلد الثاني/٨٢٢ وما بعدها، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ).

(٢) ديوان أبي العتاهية: ص٢٥٦، ط/ دار بيروت (١٩٨٦م).

(٣) المرجع السابق: ص٢٥٠.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغنـــــى مالـــــه أســـــعده وغنـــى صـــار بالمـــال شـــقيا
وفقير فقره أفســـــــــــده وفقير صار فذا عبقريـــــــــا[١]

ويؤكد غنيم على أن المهم هو الراحة النفسية والرضا بقدر الله فلربما أعطى الإنسان المال وحرم طعم الراحة فيقول:

وبحثنـــا عـــن ملـــذات الحيـــاة فوجـــدناها علـــى غيـــر قيـــاس
ســـاكن الكـــوخ غريـــق فـــي كـــراه ونزيـــل القصـــر يجفـــوه النعـــاس[٢]

انظر إلى قوله:(وبحثنا) التي تدل على كثرة النظر والتدبر في أحوال الناس وانظر كذلك إلى قوله:(فوجدنا) التي تدل على النتيجة أعني نتيجة بحثه.. ماذا وجد غنيم وجد ملـذات الـدنيا علـى غيـر القيـاس، حيث وجد الراحة والطمأنينة والهدوء والاستقرار عند الفقير، بينما حرم من ذلك كله الغنى الذي يسكن القصور.. وهذا فعلاً مخالف للقياس، لأن القياس أو المفروض أن صاحب المال في سعادة وهناءة وأن الفقيـر فـي شـقاء وعذاب وذلك ما لم يكن حيث وجدنا العكس فالفقير هادئ الفكر ناعم البال لا يشغل باله شيء، لذا فهو مستغرق في نومه بينما الغنى مشوش التفكيـر مشغول البال على الدوام بأمواله ومشاريعه والنجاح والإخفاق ومن ثـم لا يغمض له جفن.

ويرى غنيم أنه ينبغي على كل إنسان أن يرضى بحاله ويقنـع بمـا قسمه الله له، ولا يتطلع إلى ما ليس له ولا يتمنى ما فضل الله بـه عليـه غيره، لأن الله لم يختر للإنسان إلا ما يصلحه فكم من فقراء صاروا أغنياء، فلما نالوا الغنى حنوا إلى أيام فقرهم وعرفوا ما كانوا فيه من النعيم وراحة

---

(١) المرجع السابق: ٧٣٤/١.

(٢) المرجع السابق:نفس الجزء والصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البال:

ربما أتعبت الدنيا أجيراً كلما فكّر في رقة حاله
فإذا ما صار في يوم أميراً ودّ لو عاد إلى راحة باله[١]

ونقرأ هذه الحكم في اليسار والغنى، واختلاف المقادير، وعدم الرضا حيث يقول غنيم معلنا أن هناك من يسخط على قدره ولا يرضى به، ولا يقنع بما في يديه، بل هو دائم التطلع إلى ما في يد غيره، ولو تدبر هذا أمره لوجد أن حاله خير من حال غيره بكثير ولا ينسى غنيم أن يفتخر برضاه وسعادته في حالتي اليسار والإقتار فلا يفرح إن أصابه غنى ولا يجزع إن ألمت به فاقه:

لعمرك ما أضفى على سعادة يسارى ولا أزرى افتقاري بحاليا
تفرقنا الدنيا يساراً، وفاقة ونقتسم اللذات فيها سواسيا
ورب أمير ود لو كان سوقه وذى جدة قد بات يغبط عافيا
ومطربة تشجى الجموع بصوتها وقد حملت بين الضلوع مآسيا
وتحسدها بين الخدور حرائر وتحسد في بعض الخدور الجواريا[٢]

وفي ذلك يقول الشنفرى:

وأعدم أحيانا وأغنى وإنما ينال الغنى ذو البعدة المتبذل
فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أتخيل[٣]

حيث يفتخر بأنه ليس كثير المطامع ولا يبتذل في سبيل المال كل

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ١/٧٣٤.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/ ٤٧٤.

(٣) ديوان الشنفرى ص٦٩، جمع وتحقيق / إميل يعقوب، ط / دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، لامية العرب للشنفرى: د/ عبد الحليم حفنى ص٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غال ورخيص، كما أنه لا يضعف ولا يحزن ولا يشتكي في حال فقره ولا يفرح أو يتكبر في حال غناه.

وعندما صدرت القوانين الاشتراكية التي تحد من الإقطاع والرأسمالية أنشد غنيم قصيدته التي أسماها (عدل السماء) والتي يتساءل فيها عن ذنب الفقير في كونه خلق فقيرا، وعن أطفاله الأبرياء الذين ينتظرهم البؤس والشقاء بينما يرفل غيرهم في الثراء والنعيم ويشجع غنيم فكرة توزيع الثروات بعدالة بين الناس حتى ينعم الجميع بالسعادة، ويحذر من التكالب على الغنى، لأن الحرص يجلب الفقر، ويؤكد بأن إنفاق الأغنياء من مالهم على الفقراء لا ينقص من أموالهم شيئا، ويضرب لنا مثلاً بالضرع الذي يفيض على الدوام ولا يضن بالدر على أحد أبداً وكذلك الأرض التي هي دائمة العطاء ولم تشك يوما أو تنوء بحملها ولكنه الجشع والطمع الذي أعمى بعض القلوب وتملك بعض الناس.. ورب ضارة نافعة فقد كان ذلك سببا في الانفراجة التي حدثت للناس آنذاك والتي يحدثنا غنيم عنها في الأبيات التالية:

إذا الفقر كان جزاء الفقير ... فما بال أطفاله الأبرياء؟
وما ذنب طفل تخطُّ الحياة ... له صفحة البؤس قبل اللقاء؟
وما فضل طفل إذا ما استهل ... تلقته في المهد أيدي الإماء؟
ولو ساد في الأرض عدل السماء ... لعاش الأنام بها سعداء
لقد جلب الفقر حب الغنى ... وعجل بالموت حب البقاء
وما ضن بالدر ضرع السحاب ... ولا شح بطن الثرى بالنماء
ولا شكت الأرض من حملها ... ولا ضاق بالناس رحب الفضاء
ولكن تفشى السُّعار فكان ... ضحية هذا السعار الرخاء[1]

ونحن إذا كنا مع غنيم في وجوب عطف الأغنياء على الفقراء عن

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٢٦/١..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طريق الإحسان إليهم والتصدق عليهم، إلا أننا لسنا معه في فكرة إعادة توزيع الثروات بين الناس، لأن ذلك قدر الله وقسمته بين العباد، فتلك سنة الله في خلقه التي يجب القبول بها والإذعان لها، والرضاء بقدر الله.

وعلى أية حال، فقد بدت عاطفة غنيم مشبوبة تجاه الفقراء والطبقة الكادحة التي كان هو واحد منهم" ومن ثم كان دفاعه وتأييده للقوانين التي ناصرت الفقراء آنذاك.

وفي القصيدة نفسها يتحدث عن الأخوة والمساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم فيقول:

ألا إنما الناس من آدم ... وآدم كل بنيه سواء
أصيغ امرؤ من نضار وطيب ... وصيغ امرؤ من تراب وماء[1]

وقد ورد هذا المعنى في شعر الأسمر في محاربة التفرقة العنصرية بين الناس بسبب ألوانهم حيث يقول:

إنما الناس من تراب وماء ... ليس فيهم مَنْ أصله من ضياء
آدم والد الجميع فحمق ... وضلال تفاخر الأبناء
أنجبتا حواء أشبه بالدهـ ... ـر ولونيه صبحه والمساء
فأناس كما تجلى نهار ... وأناس كحالك الظلماء

وقول الشاعرين صدى لقول إيليا أبو ماضي:

نسى الطين ساعة أنه طيـ ... ـن حقير فصال تيها وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى ... وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخي لا تشح بوجهك عني ... فما أنا فحمة ولا أنت فرقد[2]

---

(١) المرجع السابق: ١/٦٢٥.

(٢) الجداول: إيليا أبو ماضي، ص٣٩، ط/ دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشرة (١٩٨٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويحث غنيم الأغنياء على الجود والسخاء والبذل والعطاء قائلاً:

وكم أهلك المال من حازه إذا المال لم يقترن بالسخاء[١]

وإذا كان غنيم يرى أن البخل والتقتير يهلك المال، فإن الشافعي يرى أن الكرم والسخاء خير ما يستر عيوب الإنسان حيث قال:

تستر بالسخاء فكل عيب يزينه كما قيل السخاء[٢]

ويتحدث غنيم عن السخاء فيقول:

إن من يكتوى بنار الشظايا مثل من يكتوى بنار الغلاء [٣]

حيث يوضح غنيم أثر الغلاء على المجتمع، وقد جعل للغلاء ناراً تحرق ويكوى بها الناس مثلما يكتوون ويحترقون بنار الشظايا تماما، وقد زاد الأمر وضوحا عن طريق التشبيه المقلوب الذي أورده،حيث جعل الأصل فرعا والفرع أصلاً.

ومن الأمور التي تدخل هذا النطاق تفاوت الحظوظ بين الناس، وقد أولى غنيم هذا الجانب اهتماما كبيرا حيث قال يشكو رقة حاله:

بلد تسربل بالحرير جهوله ومشى الأديب به بلا سربال

أبصرت باب الرزق فيه مفتحا إلا عليّ فمحكم الأقفال

إن شئت أن تحيا بمصر فلا تكن حيّ الضمير تعش خليّ البال[٤]

وتشتد حدة غنيم حين يرى الموظف بل كبار الموظفين تجوز عليهم الزكاة ولا تؤخذ منهم، من شدة ما يشكونه من جوع وعرى ورقة

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٢٧/١

(٢) ديوان الشافعي:ص٢٦شرح نعيم زرزور، تقديم د/ مفيد قميحة، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:٥٦٣/١.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٢٤٠/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حال وإن بدا غير ذلك فيقول حين سأله بعض البائسين:

نقلت وطأة الغلاء فحلت لكبار الموظفين الزكاة
لا ترموا الزكاة منه احتسابا نحن لا أنتم الجياع العراة[١]

وفي قصيدة لغنيم بعنوان "من للموظف" التي نشرت في الأهرام سنة ١٩٤٢م يبين الشاعر معاناة الموظف، ومدى أثر ارتفاع الأسعار على تلك الفئة محدودة الدخل، والتي صهر الغلاء كبيرهم وصغيرهم على السواء بعد أن أصبحت قيمة النقود لا تساوي شيئا في ظل الارتفاع الجنوني للأسعار فيقول:

قل للذين يلون أمر الوادي من للموظف من له بالزاد؟
الحرب إن مست سواه فإنها عضت بأنياب عليه حداد
فئة بمصر جنى عليها أنها هي- وحدها - محدودة الإيراد
صهر الغلاء كبيرها وصغيرها فالكل غرثان الجوانح صاد[٢]
ولقد تدهورت النقود فأصبحت عشراتها في رتبة الآحاد
النقد زيفه الغلاء فماله قدر، فوالهفى على النقاد
قد حالت الأرقام عن مدلولها حولاً، وضاعت قيمة الأعداد
إنا لزمنا الصمت حتى أحدقت مِحَن بنا ينطقن كل جماد
لا تجعلونا للوعود فريسة نلهو بهن وهن ذرّ رماد
هبنى صبرت على الطوى، من مسعدي بالصبر إن عض الطوى أولادي؟
فلذ من الأكباد باتت تشتكي الله في فلذ من الأكباد
باتوا وأقصى همهم: لو أنهم شموا قتار اللحم في الأعياد[٣]

وحدث أن توقفت حركة الترقيات والدرجات التي كان غنيم مرشحا

---

(١) المرجع السابق: ٢٤٧/١.

(٢) غرثان: جوعان

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٢٤٢/١ وقتار اللحم: رائحته المنبعثة منه عند الطبخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لها هو والشاعر الخفيف، ثم وزعت الدرجات فأخطأتهما الترقيـة فأنشـد محمود الخفيف المصراع الأول، فبنى الشاعر عليه قائلا:

من الدرجات يـا محمـود فاسـخر فمـــاذا إن فقـــدناها سنخســـر؟
إذا كنـــا نعـــاني اليـــوم فقـــراً فإنـــا بعـــدها يـــا صـــاح أفقـــر
أتأسف يـا خفيـف علـى قـروش تجـود علـى السـعاة بهـا وأكثـر؟
ولسـت بـدونها سـتموت جوعـا ولسـت بهـا سـتلبس تـاج قيصـر
وما رفعـت لنـا الـدرجاتُ شـأنا كلانـا مـن شـعاع الشـمس أشـهر
أرى النكـرات بالـدرجات أولـى فرقـوا كـل مغمـور ليظهـر[1]
دع الدرجات، يـا محمـود يحظـى بها الجهـلاء مـن قـرَّاء "شرشـر"[2]

وبالفعل حدث ما توقعه غنيم فحين رقى إلى درجـة مفـتش للغـة العربية، لم يضف إليه شيئا جديدا اللهم سوى الحسرة والألم والمرارة حيث يقول:

وما سـرني التفتـيش حـين وليتـه ولا أنـا إن ولـى عليـه بآسـف
لقد خلته يغنى عيالي مـن الطـوى فكان كمضـروب مـن النقـد زائـف
وزارة مهضـومين لـيس بقـابض فتى يرتقى فيهـا ولـيس بصـارف[3]

ولكن الذي كان يحزن غنيم حقا هو انتشار الوساطة والمحسوبية في نيل الوظائف والدرجات مما يعمل على إهدار مبدأ تكافؤ الفرص واختيـار الأفضل: وتضيع حقوق النوابغ الأكفاء حيث يقول:

المحاسـيب أوصـدوا كـل بـاب فـي وجـوه النوابـغ الأكفـاء[4]

---

(١) المغمور: خامل الذكر وهو ضد النابه المشهور.

(٢) شرشر: كتاب معروف في تعليم الهجاء للمبتدئين. راجع: الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/ ٦١٥.

(٣) المرجع السابق: ١/٢٧٧.

(٤) المرجع السابق: ١/ ٥٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيء آخر منع غنيم أو أخره عن الترقي وهو عزة النفس لأن باب الترقي يعترض طريقه النفاق والملق والذلة والضيم والهوان، فمن أراد الرقى فعليه أن يطأطئ الرأس وينافق ويداهن يقول:

إن باب الرقى فيه انخفاض ينحني فيه رأس من يترقَّى[١]

وهو هنا يعرِّض بهضم حقوق الأكفاء من الناس، وعلو السوقة وأرباب النفاق من العاديين من الناس، بينما يظل ذووا المواهب كما هم دون تقدم أو ترق لا لشيء يعيبهم سوى العزة والكرامة.

ولطالما تمنى غنيم أن يسود العدل بين الناس، وأن يوضع كل شيء في موضعه ويبدو أنه كان حلما بعيد المنال مما زاده أسى، لكن عزاءه الوحيد أن الرتب لا ترفع خامل الذكر أبدا فهو كالجماد الذي توضع فوق صدره الأوسمة دون أن تزيده شيئا حيث يقول:

ما أجمل الرتب الرفيعة موقعاً في النفس إذا تهدى إلى الأنداد
لا ترفع الرتب الرفيعة خاملاً كم من وسام فوق صدر جماد[٢]

ويتطلع غنيم حوله، فيرى موكب المنافقين وقد اتخذوا من النفاق حرفة يرتزقون منها فيقول:

وما تغيرت الأشكال من خلقت إن التغير الآماق والحدق[٣]
لا درَّ دَرُّ أناس لا وفاء لهم يلقون كل جديد جاء بالملق[٤]
سوق النفاق قد اصطفت موائدها وراح يسعى إليها كل مرتزق

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦١٣/١

(٢) المرجع السابق: ٦٢٠

(٣) الآماق: جمع موق، والحدق: جمع حدقة، ويريد بها العيون، والمعنى أن الأشخاص لم تتغير ولكن النظرات هي التي تغيرت.

(٤) لا دَرَّ درُّ: جملة دعائية، درَّ: بمعنى فاض والدرُّ: اللبن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكفكف دموعا على الأمـوات تـذرفها يا صاح وابك معي في مأتم الخلق[١]

فالأزمة كما يراها غنيم ليست أزمة مالية ولا اقتصادية ولا ثقافيـة وإنما هي أزمة أخلاقية، وقد بلور غنيم هذا في قوله:" مأتم الخلق "

ويرى غنيم أن العمل والاعتماد على الذات هو خير طريـق إلـى المجد حيث يقول:

ولي زمـان القـول يسـبك عسـجداً ما المجـد فـي قـول يقـال منمقـا
مـن لـم يشـق طريقـه بذراعـه لم يغنه نسب إلـى الـنجم ارتقـى[٢]

ويؤكد غنيم على وجوب الاعتماد على الذات والفخر بالنفس بدلاً من الفخر بالآباء والأجداد فيقول:

لا دَرَّ درُّ امـرئ يُطـرى أوائلـه فخراً، ويطرق إن ساءلته ما هو[٣]

ويسخر ممن يفتخرون بأصولهم وأنسابهم وبأمجاد غيرهم قائلاً:

يا رب مفتخـر عليـ ـك بيت مجد ما بناه[٤]

يريد غنيم أن يفخر المرء بنفسه وبأفعاله وعدم الاقتصار على الفخر بأمجاد الأولين، وإن كان لا محالة فاعلا، فليسلك الطريق الذي سلكوه نحو المجد حتى يكون مثلهم وحتى يحق له أن يفخر حيث يقول:

لسـنا بأمجـاد الأوائـل نكتفـي لكن كما فعل الأوائل نفعل[٥]

ويبدو أن غنيم قد تأثر في بيته هذا بقول الشاعر العربي القديم:

لسـنا وإن أحسـابنا كرمـت يومـا علـى الأحسـاب نتكـل

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ٤٧٢/١.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٣١٥.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٨١/١

(٤) المرجع السابق: ٦٩٠/١.

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نبنـــى كمـــا كانـــت أوائلنـــا تبنـــى، ونفعـــل مثلمـــا فعلـــوا

وينبه غنيم إلى أن وجوب السعي والعمل والجد والاجتهاد للوصول إلى المجد وإثبات الذات ونيل المراد، وينهي عن اليأس وينصـح بتكـرار المحاولات فيقول:

ولا يحظـــى بنيـــل المجـــد قـــوم إذا لاقـــتهم العقبـــات خـــاروا
ومهـــر المجـــد إن تخطبـــه غـــال وبعـــض المهـــر مـــوت واحتضـــار
فـــإن يخلـــف لنـــا قمـــر ظنونـــا ففـــي الملكـــوت أقمـــار غـــزار
وقبـــل الـــنجح إخفـــاق وثـــان وأول مشـــية الطفـــل العِثـــار[١]

ويلاحظ أن الشاعر يلح على وجوب العمل والسعي والكفاح وتكرار المحاولات، فإذا أخفق المرء في الأولى أصاب في الثانية وإلا ففي الثالثـة وهكذا، ويضرب الشاعر لذلك مثالاً بمشية الطفل، فأولها عثار، ثم يعقبهـا نجح وإتمام المراد حيث يظل الطفل يقف مرة ويقع أخرى، حتى يتمكن في النهاية من السير بدون تعثر، وما كان ذلك لولا إصراره وعزيمته.

والشاعر متأثر في هذا بقول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[٢]

والمنافسة ينبغي أن تكون في شيء شريف، وبالتالي تكون النتيجـة غاية في الجمال والكمال والإجلال، فلن يرضى المجتهـد شـيء تافـه أو بسيط، إنما يرضيه بلوغ الأماني وتحقيق الأهداف المرجوة التي كافح ونافح من أجلها، يقول غنيم:

ومن ســبر المحــيط فلــيس يُشــفى قليـــل طموحـــه إلا القـــرار[٣]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧١٠/١.

(٢) شرح ديوان المتنبي:٣٨٥.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧١١/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى ذلك يقول المتنبي:

إذا غـامرت فـي شـرف مـروم فـلا تقنـع بمـا دون النجـوم
فطعـم المـوت فـي أمـر حقيـر كطعم المـوت فـي أمـر عظـيم[١]

ويرى غنيم أن طريق المجد ليس ممهداً ولا مفروشاً بالورود، بل إن المجد طريقه مليء بالصخور والأشواك والصعاب التي تحتاج إلـى عـزم وقوة وإرادة وقبل كل ذلك ثقة وإيمان بالله حيث يقول:

ومـن تَـمَّ بـالله إيمانـه رأى الصـخر فـي يـده عثيـرا[٢]
إذا مـا مشـى فـوق شـوك القتـاد غـدا تحتـه سندسـاً أخضـراً
ولـن ينفـع القـوم إيمـانهم إذا كـان إيمـانهم أبتـرا
ومـن خطـب المجـد شـد الرحـا ل إليه، وخاض الدم الأحمرا[٣]

وقديما قال أبو تمام في قصيدته الرائعة: "فتح عمورية" مؤكـداً أن المجد يحتاج لبذل الجهد والتعب:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب[٤]

وغنيم رجل خبير مجرب يدرك أن المجد صنفان: نـوع زائـف لا قيمه له، ونوع خالص حقيقي وهما لا يسـتويان كمـا لا يسـتوي البـرق الممطر، بالبرق الكاذب حيث يقول:

والمجـد منـه زائـف وممحـض لا تخلطـوا بلـوره بجمالـه[٥]

---

(١) شرح ديوان المتنبي:ص٣٨٥.

(٢) العثير: الغبار

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم:١/٤١٠.

(٤) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي:١/٤٩، تقـديم / راجـي الأسـمر، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

(٥) الممحض: الخالص / الجمان: الدر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مـــا كـــل لمـــاع ببـــرق ممطـــر البـــرق غيـــر الآل فـــي لمعانـــه[١]

وينبغي للإنسان العاقل أن يميز جيد الأشياء من رديئها ولا تخدعـــه العين التي طالما تخدع صاحبها حيث يقول غنيم:

والعين تَخْدعُ ربها، ولربما خلقت عمالقة من الأقزام[٢]

رابعاً: الحكم الوطنية والقومية:

تميز غنيم بالحس الوطني الفائق يعتز بمصر، حتـــى فـــي أحلـــك الظروف، انظر إليه وهو يفتخر بمجد بلاده، وعزم المصـــريين، وقـــوتهم وبسالتهم، وعدم الاستهتار بهم وذلك في قصيدته التي بعنوان: "لا نكســـة" والتي يقول فيها:

من قـــال: إن الليـــث ولـــي مـــدبراً ؟ الأســـد إن وثبـــت تعـــود القهقـــري

إن الشجاع يفـــر فـــي ســـاح الـــوغى ليكـــرمن بعـــد الفـــرار مطفـــراً

لا يفـــرحن المغتـــرون بجولـــة كسبوا بـــدايتها وخـــاب مـــن افتـــرى

إنـــا تركنـــا الخصـــم يضـــحك أولاً ليزيد نوحـــا حـــين نضـــحك آخـــراً

ولـــرب ضـــرغام أصـــيب بلدغـــة من عقرب دبت على وجـــه الثـــرى[٣]

ونلمح نبرة الأسى والعزة والإباء عالية في تلك الأبيات، حيث فسر الشاعر الموقف حسب فلسفته الخاصة، وجعل النكســـة أي هزيمـــة ١٩٦٧ وكأنها تكتيك عسكري من نوع خاص ليعود الجيش من جديد وثابا مظفراً، وليوضح أنهم إن خسروا جولة أو بداية الجولة فلسوف يكون النصر حليفهم في النهاية.

وقد ذهب غنيم هذا المذهب ربما ليلقى الأمل والتفاؤل فـــي نفـــوس

---

(١) الآل: برق كاذب ى يعقبه مطر... راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٥٠٩/١:

(٢) العمالقة: جمع عملاق وهو الطويل، الأقزام:جمع قزم وهو القصير.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٦١/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنود المصريين وليرفع من روحهم المعنوية ولثقته بـأن نصـر الله آت، ولربما لبث روح الخوف والرعب في نفوس الأعداء.

وما أروع تلكم التشبيهات والاستعارات التي وشى بها غنيم أبياتـه حيث جعل جنود مصر كالأسود التي تعود القهقري لتثب في قـوة وثبـات وكذا الشجاع فإنه يفر من ساحة المعركة ليكر من جديد.

وفي البيت الأخير حكمة بالغة مفادها أنه قد يصاب الضرغام. على الرغم من قوته وارتفاعه.. بلدغه من عقرب يمشي على وجـه الأرض.. وفي هذا إشارة إلى المكر والخداع الذي يتسم به الأعداء، وفيه إشارة إلـى قوة الجندي المصري وبسالته على الرغم من هزيمته.

ويشيد غنيم بعظمة مصر التي تتمثل في سد أسـوان فـي حكمتـه الوطنية الرائعة فيقول:

قالوا: العجائب سبع، قلت: ويحكموا ما هذه السبع إلا سد أسوان[١]

ويقول في تحية الباخرة المصرية (زمزم) عند أول رحلة قامت بها مشيداً فيها بمصر والمصريين:

أرأيـت زمـزم وهـى فـي البحـر تختـال مثـل الكاعـب البكـر؟[٢]
وصـغيرها يشـجى الفـؤاد كمـا يشـجيه نـوح حمـائم السـدر[٣]
مـا كـان مـن مجـد فمقتـبس مـن مصـر، مـردود إلـى مصـر

---

(١) المعنى أن السد العالي قد اندمجت فيه العجائـب السـبع فتنوسـيت وبقـى هـو شامخا..راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٣٥٠.

(٢) تختال: تتبختر.

(٣) وهذا البيت إشارة إلى قول الشاعر:

أشجاك نوح حمائم السدر فأثار منك بلابل الصدر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خضع العباب لأهل مصر كما سلس الهواء سلاسة المهر [١]
يهنى الكنانة أنها ظفرت بالعاهلين: النون، والنسر [٢]
في مصر قوم صنامتون إذا كان الكلام بأهله يزرى [٣]
في كل آونة لهم عمل لا يبتغون عليه من أجر
تركوا المقال لمن ينمقه ويصوغه في الدر كالنحر
صنفان تلقى الفرق بينهما كالفرق بين الترب والتبر [٤]

ومن منطلق هذا الحب العظيم من جانب غنيم لمصر وخوفه عليها نادى بالترابط بين أبنائها على اختلاف ألوانهم وديانتهم لأن التفرق أضعفها وأنهك قواها وجعلها مطمعا للدول الاستعمارية، فبالوحدة تظل مصر قوية شامخة على مر الزمان، حيث قال في نفس القصيدة (زمزم):

قل للحجيج: إذا بلغت منى ومسحت بالأركان والستر [٥]
فسلوا إله العرش في وطن أخنت عليه حوادث الدهر
مصر وقاها الله قد منيت بميتين: الفقر والأسر [٦]
مصر تفرق أهلها شيعاً وتخاذلوا في ساعة النصر
(أحرى الورى بالهم والدة تلقى العقوق من ابنها البر)

---

(١) في هذا إشارة إلى نجاح مصر في مجال الطيران

(٢) النون: البحر ولعلة يشير إلى قوة مصر في أسطولها البحري وسلاسها الجوي.

(٣) يقصد بهم: صقلت حرب ورفاقه.

(٤) التبر: الذهب.

(٥) الحجيج: الحجاج، حيث كانت أولى رحلات الباخرة زمزم إلى جده لنقل الحجاج.

(٦) يريد استفحال الضائعة المالية آنذاك بالإضافة إلى الاحتلال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لمـــا رأى العـــادى تفرقهـــا قلـب المجـن لهـا علـى الظهـر[١]
أو مـا رأيـت القـوم قـد نظـروا بمحـــاجرٍ كوجـــوههم حمـــر[٢]

ونقرأ لغنيم تلك الحكمة الرائعة التي تدعو إلى الوحدة والتـرابط والتآلف بين أبناء المجتمع، حيث يقول:

الشعب يبقى ويبقى مجد دولته ودولة الفرد تنعى يوم منعاه[٣]

وفي ذم الفرقة ونبذا الخلاف يقول غنيم:

ومـا فكـك الشـعب مثـل النـزاع إذا هـو بـين بنيـه احتـدم[٤]

وفي موضع آخر ينعى غنـيم علـى أبنـاء الـوطن فـرقتهم وتشرذمهم، مما يضعف قوتهم، ويطمع فيهم عدوهم فيقول في حسـرة بالغة:

إن الرعـــاة تفرقـــوا ويـــح القطيـــع مـــن الـــذئاب[٥]

وأشم في هذا البيت رائحة قول الشاعر القديم:

وإذا فرق الرعاة اختلاف علموا هارب الذئاب التجرى

وقد ندد غنيم أيضاً بالخلافات الحزبية التي سادت عصـره والتـي شغلت حيزا كبيرا في الشعر العربي ونالت اهتمام الشعراء آنذاك من أمثال أحمد شوقي الذي يقول:

إلام الخلـــف بينكمـــو إلامـــا وهـذى الضـجة الكبـرى علامـا؟
وفـيم يكيـد بعضـمكو لـبعض وتبـدون العـداوة والخصـاما؟

---

(١) يشير إلى استغلال المحتل لتفرق المصريين وتوجيهه إلى مصر إنذاراً.
(٢) يريد بالقوم: الإنجليز.. راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٥٢/١ وما بعدها.
(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٠١/١
(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٣٢١/١
(٥) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٨٦/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تـــراميتم فقـــال النـــاس قـــوم إلـــى الخـــذلان أمـــرهم ترامـــى
وكانـــت مصـــر أول مـــن أصـــبتم فلم تحـص الجـراح ولا الكلامـا[١]

وهكذا شغلت قضية الوحدة الوطنية والترابط والألفة والانسجام بين طوائف المجتمع المصري محمود غنيم تماما كما شغلت غيره من الشعراء.

الوحدة العربية:

كذلك شغلت الوحدة العربية محمود غنيم حيث نعى علـى العـرب تفرقهم رغم اشتراكهم في الهم والأحزان، حيث قال:

مالي أرى الشرق المهـيض جناحـه رغم اتحـاد الهـم غيـر موحـد؟[٢]
(وإذا تفرقـت الشـعوب مواقعـا وتقاربـت غاياتهـا لـم تبعـد)
(أعـزز علينـا أن نـرى جيراننـا يتخطفـون، ونحـن مكتوفـو اليـد[٣]

وينادي بأعلى صوته على أمة العرب أن يوحدوا الشمل كما وحـد النبي جهوده في مواجهة الأعداء، ويرى أن الشمل المفرق لا يقهر الخصوم ولا يكيد الحسود.

قل لأبنـاء يعـرب وحـدوا الشمـ ـل كمـا وحـد النبـي الجهـودا
(إن أولـى الـورى بتوحيـد شـمل أمـه كـان دينهـا التوحيـدا)
(إن شـعبا مفـرق الشـمل لا يقهـ ـر خصـماً، ولا يكيـد حسـودا)[٤]

وفي نفس المعنى يقول غنيم:

للعرب دين علـى التوحيـد مرتكـز إليـه باطنـه يـدعو، وظـاهره

---

(١) شرح ديوان شوقي:٥٣٨/٢، شرح د / أحمد الحـوفي، ط/ دار نهضـة مصـر (١٩٨٠ م).

(٢) جناح مهيض: مكسور.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٤٠/١

(٤) المرجع السابق: ٣٩٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما سر قوته في غير وحدته على مبادئها قامت شعائره[١]

ويدعو غنيم إلى نبذ الزهو وترك الغل والحقد فيما بين العرب وبعضهم البعض، وعدم الزهو والاختيال، لأنه مكمن الأخطار فيقول:

لا يستخفنكم المرا ح فربما قتل المراح
إني أعيذ صفوفكم من كل خلف أو تلاح
والحقد فاطرحوه ما للحقد إلا الاطراح
والله ما يرجى لقو م بينهم إحن صلاح[٢]

ويوضح غنيم أن العرب جميعا ذوو قربى ومن ثم يجب أن يتوحدوا وأن ينبذوا التعصب، وأن يتجاوزوا عن زلات بعضهم البعض لأن الأخوة والقرابة تتطلب ذلك حيث يقول:

صفوا سرائركم من كل شائبة تصفو الحياة لمن تصفو سرائره
لا تذكروا خطأ الماضي وحوبته ما كان من خطأ فالله غافره
تنسى الذنوب مع القربى وإن عظمت إن الشقيق صغيرات كبائره
إن الإخاء- إذا ما الأخوة اختصموا على الخصومة- مرخاة ستائره
إن يلتئم شملكم لان الحديد لكم كما يلين الحديد الصلب صاهره
إن تطلبوا المجد، فالصاروخ منطلقا ووحدة الصف، والشورى مصادره[٣]

فالصفح والوحدة والتآلف والترابط والتلاحم والقوة والشورى كل ذلك من مقومات النصر في نظر غنيم، وهي نظرة صائبة بالطبع، لأن الوحدة سبيل القوة، والقوة سبيل النصر والعزة والهيبة والمنعة.

ويؤكد ذلك غنيم بقوله في نفس القصيدة:

مجد العروبة مرهون بوحدتها والخلف أوله ضعف وآخره

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٧/١.

(٢) الإحن: العداوة والبغضاء ومفردها الإحن.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٩/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هيهات ينهض شعب بعد كبوته إلا إذا اتحدت قلبا عناصره
والشعب وحدته أقوى ذخائره يوم الحقيقة إن عدت ذخائره
هي السلاح بيمناه إذا خمدت نيران مدفعه، أو فل باتره
يا رب شعب شتيت الشمل منقسم من ضعفه قلمت منه أظافره
ما عاش يوما وإن طال الزمان به بل دوره حين تأويه مقابره.(١)

ولشدة إيمان غنيم بالوحدة العربية يكاد يجعل تلك الوحدة دينا يجب أن يصان وعقيدة يجب أن يؤمن بها بخلاف التفرق والتشرذم يعتبره إلحادا حيث يقول: إني لأوشك أن أعتد وحدتنادينا، وأن افتراق الشمل إلحادا(٢)

الحرب والسلام:

ينظرغنيم إلى الحرب نظرة كلها شذر ويراها العيب الأكبر في بني البشر حيث يقول:

وحسب بني حواء عيبا حروبهم إذا لم يكن غير الحروب لهم عيب(٣)

والحرب في نظر غنيم غول تغتال كل غال ونفيس، ولا تخلف إلا الدمار والهلاك حيث يقول:

غول تغول الطفل من يد أمه بسعارها، والكاعب الرعبوبا(٤)
هوجاء، تذرو الدوح عند هبوبها وتخلف البرج الأشم كثيبا
لا يرتدي الأكفان في ساحاتها ميت نضا برد الشباب قشيبا(٥)

ويحذر غنيم الأمم المتحضرة التي تخرب الحضارة بالحروب ويوضح لها أن الدنيا دائمة التقلب وأن جبار اليوم قد يصير مصلوب الغد

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٧/١.
(٢) المرجع السابق: ٦٧٤/١.
(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٢/١.
(٤) السعار: القرن، الرعبوب: البيضاء الناعمة.
(٥) نضا الثوب: خلعه.. راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٣٤/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو أن الأمة القوية اليوم قد تصبح ضعيفة في الغد مثل النجوم التي تشرق وتغرب ولا تستقر على حال واحدة فيقول:

أمم بنت ركن الحضارة عاليا ما بالها لم تأله تخريبا[١]
الأوصياء القيمون على الورى تركوا الورى بدمائهم مخضوبا
دول يحول نحوسها وسعودها مثل الكواكب مشرقا وغروبا
يا رب جبار يصول بجنده أمسي بأيدي جنده مصلوبا[٢]
يا رب غيل بعد صيحة أسده قد بات يملؤه الغراب نعيبا
ومؤمل ملك الثرى ولي فما أجرى دموعا، أو أثار نحيبا[٣]
لم يلق قبرا فوق أرض طالما فتحت له أحضانها ترحيبا[٤]

وينعى غنيم على الأمم التي تتفاخر بالحروب وسفك الدماء، ويتمنى أن يسود السلام والوئام بين الناس، ولكنه يؤكد أن هذا السلام مرتهن بنصرة الضعفاء وعودة الحقوق إلى أصحابها فيقول:

لا تجعلوا سفك الدماء مناقبا للفاتحين، بل اجعلوه ذنوبا
المجد ليس لقاتل ولو أنه بذ النسور مخالباً ونيوبا
والله ما كسب الحروب معاشر ليس السلام لديهمو مكسوبا[٥]

كذلك فإن غنيم ينعى الحضارة، والمدنية والعلم والتقدم وكل ما من شأنه أن يساهم في إشعال نار الفتن والحروب حيث يقول:

قالوا: تألق نور العلم قلت لهم بل ناره أصبحت تزداد إشعالا

---

(١) لم يأله الأمر: لم يقصر فيه، يقصد أنهم دأبوا على تخريبه.

(٢) يشير الشاعر إلى حادثة صلب موسوليني على أيدى جنوده.

(٣) في هذين البيتين إشارة إلى هتلر الذي مات فلم يحتفل بموته بالإضافة إلى أنه لم يستدل على قبره..... راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ص٣٥.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٣٦/١.

(٥) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٣٦/١..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا رب حرب بغير العلم ما اتقدت ورب جيش بغير العلم ما صالا
في الماء والجو آلات مسخرة تصور الموت ألوانا وأشكالا
لنا جرائم لم يسبق بها زمن باتت تزلزل ركن الأمن زلزالا[1]

والحرب الحقيقية في نظر غنيم لا تعني التسارع في امتلاك الأسلحة الفتاكة التي تبيد الشعوب، وإنما هي محاربة الجهل والفقر والمرض فتلك حرب من شأنها توطيد السلم بين الناس وصيانة أرواحهم حيث يقول:

ليست الحرب في امتشاق السلاح بين سمر القنا وبيض الصفاح
ونسور في الجو تعصف بالنا س، وبالأرض عصف هوج الرياح
إنما الحرب، حرب جهل، وفقر وسقام، هذا مجال الكفاح
تلك حرب توطد السلم بين النا س، فيها صيانة الأرواح[2]

هذا عن الحرب أما عن السلام فيوضح غنيم ملامح السلام العادل الذي يريده وترضى به الإنسانية جمعاء، السلام الفعلي وليست الأقوال المرسلة الجوفاء، ولا التصريحات الكاذبة الرنانة، ولا المواثيق والعهود التي لا تأخذ حيز التنفيذ فيقول:

إنا نريد من السلام لبابه لا لفظه، أو صكه المكتوبا[3]
عذرا إذا ما الشك خامر معشراً عهدوا السياسة بالكلام لعوبا
كم للسلام موانقا عبثت بها ريح السياسة شمألا وجنوبا
سيمت به الأمم المهيض جناحها رقا على أعناقها مضروبا
لم تطفئ الحرب الضروس نصوصها بل زادت الحرب الضروس شبوبا
إن تكتبوا للسلم عهداً فاجعلوا دمع الثكالى بالمداد مشوبا
أو فانقشوا بدم الضحايا خطه وتذكروا يوما قضوه عصيبا

---

(١) المرجع السابق: ٧٤.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٤٦/١.

(٣) اللباب: قلب الشيء وصميمه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صـــوغوه عـــدلا للبريـــة شـــاملا لا مرتعـــا للأقويـــاء خصـــيبا
واستشـــهدوا الـــرحمن فيـــه عليكمـــو وكفـــى بربـــك شـــاهداً وحســـيبا
واســـتودعوه مســـاجدا وكنائســـاً وضـــعوا هـــلالاً فوقـــه وصـــليبا
الله قـــد خلـــق الشـــعوب سواســـيا لا رب بينهـــو، ولا مربوبـــا[١]

ويؤكد غنيم أنه لن يسود السلام إلا بنصرة الضعفاء وعودة حقوقهم كاملةً غير منقوصة حيث يقول:

لـــيس الســـلام بســـائد مـــادام فـــي الـــدنيا حطـــام[٢]

ويقول:

ليس الســـلام بخفاق له علم ما دام بين الورى، شاء وذؤبان[٣]

ويقول:

لن يستقيم لكم ســـلام ما شكـــا شعب ضعيف حقه المغصـــوبا[٤]

ويرى غنيم أن السلام لابد له من قوة تسانده وتؤيده، لأن الضـــعيف ليس له مكان في هذا الوجود فيقول مخاطبا أبناء العروبة:

لا تطلبـــوا بالضـــعف حقـــا ضـــائعا ما للضـــعيف الحـــول مـــن أشـــياع
من عالج الباب العصـــى فلـــم يلـــن ليديه، حطم جانب المصـــراع[٥]

والقوي مهاب عند الناس ومنصور، بخلاف الضعيف فإنـــه لـــديهم مزرى به ومخذول، يقول غنيم:

وكم غفر الناس ذنب القوى وكم ألصقوا بالضعيف التهم[٦]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٣٦/١.
(٢) المرجع السابق: ٦٧/١.
(٣) المرجع السابق: ٣٧٨/١.
(٤) المرجع السابق: ٣٦/١.
(٥) المرجع السابق: ٤٢/١.
(٦) المرجع السابق: ٣٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول:

لا خير في حـق يقـال ومنطـق عذب بحـد السـيف غيـر مؤيـد[١]

ويقول:

ولقد بحثت عن السلام فلـم أجد كإراقة الدم بالسـلام كفيـلا[٢]

يعني أن السلام لن يسود بين الناس حتى تراق في سـبيل إقـراره الدماء.

وفي ذلك يقول أحمد شوقي:

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء[٣]

ويشتد غضب غنيم فيقول:

لم ألق أعدل من قذيفـة مدفـع حكما وأخطـب من لسـان النـار[٤]

والقوة في نظر غنيم من العوامل المهمة في إحقاق الحـق ووضـع الأمور في نصابها الصحيح حيث يقول:

لا يحق الحقَّ إلا قـوة تفعل القـوة ما يعيى القُضَاه[٥]

ويقول غنيم في مجال الحق والقوة:

قـل للشـباب مقالـة مـن ناصـح إن الشـباب أحـقٌ بالنصـاح
هـذا زمـان لا مجـال لمنطـق فيـه ولا خطـب تقـال فصـاح
الحـق فيـه للقـوي بجيشـه ولمـن يطيـر إلـى السُـها بجنـاح
ويدب فـي الصـحراء ليثـاً كاسـراً ويغـوص تحـت المـاء كالتمسـاح

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٠٥/١

(٢) المرجع السابق: ٣٧١/١

(٣) شرح ديوان شوقي.شرح الحوفى:٦٠٢/١ط/ نهضة مصر (١٩٨٠م).

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٣٨٢/١

(٥) المرجع السابق: ٣١٢/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحق للصاروخ يعصف بالورى عصف الرياح الهُوج بالأرواح[١]

ويدعو غنيم العرب أن يتسموا بالقوة ويهبوا في وجوه المعتدين ويضمن كلامه الحكم الكثيرة فيقول:

لا تحذروا خطر الهجو م (فليس يظفر من يحاذر)
بل فارقوا بمصيركم فلربما فاز المقامر[٢]
(لا تبسطوا الأعذار ما في الناس للمغلوب عاذر)
(الناس أنصار القوى وليس للضعفاء ناصر)
(الحق يؤخذ بالخنا جر، لا هتافات الحناجر)
(لغة المدافع وحدها أسلوبها في الحرب ساحر)
(وقذائف البارود أبـ لغ من قصائد ألف شاعر
وزئيرها عند الوغي من بعض رنات المزاهر[٣]
وشواظها قبس يفيـ ئ لنا المسالك في الدياجر[٤]

ويؤكد ذلك بقوله:

نحن في عالم الصواريخ والذر فلا عاش من يعيش جبانا[٥]

والقوة والعزيمة والإرادة هي السبيل لنيل الحقوق ولن ينال النصر شعب ضعيف الحول محلول العرا كما يقول غنيم:

النصر ليس يناله بسؤاله شعب ضعيف الحول، محلول العرا
للنصر جيش في الحروب مزود من عزمه الماضي بجيش آخرا
يا رب فرد في الكريهة واحد بالصدق والإيمان يعدل عسكرا[٦]

---

(١) المرجع السابق: ٤٣٤/١.

(٢) المقامرة: المراهنة ويقصد المغامرة.

(٣) المزاهر: جمع مزهر، آلة موسيقية أو عود يضرب به.

(٤) الدياجر: جمع ديجور وهو الظلام،..... راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٨٦/١

(٥) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٦/١.

(٦) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٦٢/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتألم غنيم لما يلاقيه القدس من هوان متجدد ومن جراح لا تندمل فقال:

وتندمل الليالي مع الليالي وجرح القدس ليس له اندمال[١]

ويشارك غنيم بشعره في قضية اللاجئين ويبشرهم بالعودة إلى ديارهم، ويبث فيهم روح الأمل من جديد، وأن الدوائر حتما ستدور على الباغي حيث يقول:

يا لاجئين وجرحكم متغلغل في القلب غائر
لا تيئسوا يا قوم سو ف تدق للنصر البشائر
هي هجرة قمتم بها (والنصر يكتب للمهاجر)
لكأنني بغد وقد (دارت على الباغي الدوائر)
كم ضاحك في يومه يبكي غدا ملء المحاجر)
يا رب شاك منكموا قد عاد يوما وهو شاكر)
العرب نحن وليس يفـ ـلتُ من يد العربي واتر
أنتم على سفر وسو ف يعود للوطن المسافر[٢]

وتنطوي تلكم الحكم على الأمل والتفاؤل في النصر وعودة اللاجئين كما تضم بعض الأمثال كقوله: (دارت على الباغي الدوائر) فهو مأخوذ من قولهم: (على الباغي تدور الدوائر) بمعنى أن الدنيا لا تدوم على حال واحدة وأن ظالم اليوم سينتقم منه في الغد، وإن غدا لناظره قريب. وقد أفاد الجناس في قوله: (شاك) و(شاكر) المعى جمالاً وأكد المعنى في النفوس والقلوب والأسماع. أما رنة الفخر فتظهر في قوله (العرب نحن.....) ففيه اعتزاز بعروبته وبأن العربي لا يفرط
في كرامته أبداً ، وكما بدأ الشاعر أبياته ببث روح التفاؤل ختمها كذلك

---

(١) المرجع السابق: ٨٠٦/١.

(٢) المرجع السابق: ٦٨٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بإشاعة جو الأمل في نفوس اللاجئين حيث شبههم بالمسافرين، وحتما لابد للمسافر من عودة في يوم ما مهما طال غيابه.

ونختم حديثنا عن غنيم بتلك الحكمة التي يحث غنيم العرب على طلب الحقوق وعدم الصمت تجاه الأحداث الجسام التي تدور من حولهم حيث يقول:

لا تلزموا الصمت ؟ والذؤبان عابثة بالشاء، فالصمت فيه يكمن الخطر[١]

فهو يطالبهم بالخروج من صمتهم الرزين، ويهبوا لإنقاذ الشاة من أيدي الذئاب، وأحسبه يعني فلسطين والمسجد الأقصى الأسير.. ويعلنها صريحة مدوية بأن الخطر كل الخطر في هذا الصمت الرهيب.

وقد يكون الصمت محموداً في بعض الأحوال عملاً يقول العرب في أمثالهم: "الصمت زين وقليل فاعله"[٢]، إلا أنه في كثير من الحالات كتلك الحالة التي أشار إليها الشاعر يعتبر خزيا وتخاذلا وعاراً وخطرا، وهذا يدخل ضمن فلسفة غنيم الحكمية التي عودنا عليها خلال رحلتنا البحثية.

خامساً: الشيب والشباب:

شغل الشعراء منذ القدم بالحديث عن الشيب والشباب، والترحم على أيام الصبا وما كان فيها من بهجة وجمال، مؤكدين أنهم مهما بذلوا كل غال ونفيس فلن يعود إليهم الشباب ثانيا، فهذا أبو العتاهية شاعر الزهد ينعى شبابه قائلاً:

عريت من الشباب وكنت غصنا كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني فما نفع البكاء ولا النحيب

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٤٦٠.

(٢) راجع: جمهرة الأمثال للعسكرى: ضبط وشرح عبد السلام هارون، ١/٤٦٨، ط / دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٨م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيالبيت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب[١]

ويقول البارودي:

ردوا عليّ الصبا من عصري الخالي وهل يعود سواد اللمة البالي؟
ماضٍ من العيش ما لاحت مخايله في صفحة الفكر إلا هاج بلبالي[٢]

ومهما يكن من أمر فإن محمود غنيم كانت له وقفة مع الشيب والشباب، حيث يؤكد أن الشباب زمن الفتوة والصحة بينما الشيب زمن الضعف والمرض.

وتطالعنا في قصيدة (ظلع وشيب) كثير من الحكم المستخلصة من تجاريب الحياة التي تتحدث عن الشيب، وعما أحدثه من ضعف ووهن في نفس شاعرنا:

ألم ترني أخا ظلع إذا ما مشيت، وكنت أعدى من ظليم؟[٣]
كأني من أساى على شبابي أمثل مشية الطفل الفطيم
حملت عصاى متكأ وكانت لمحض الزهو في الزمن القديم
وما كانت لتجر ضعف ساقى ولو كانت عصا موسى الكليم
وهل تغنى عصا من عود نبع إذا ما الساق كانت من هشيم؟[٤]

حيث يقارن الشاعر بين شبابه وعنفوانه وشدته أيام كان يصول ويجول، وينتقل هنا وهناك، وبين شيبه الذي أقعده وقيده وأحوجه إلى عصا يتوكأ عليها.

---

(١) ديوان أبي العتاهية:ص ٤٦، ط/دار بيروت (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

(٢) ديوان البارودي:ص٤٤٥، تحقيق على الجارم، ومحمد شفيق معروف، ط / دار العودة، بيروت، (١٨٩٨م).

(٣) الظليم: ذكر النعام.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٤٢/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد أن كان يتخذها للزهو والاختيال، ويوضح أن تلك العصا لم تغن عن ضعفه شيئا، لأن ساقه عظامها هشة، وماذا تصنع العصا إذا كانت الساق بمثل تلك الصفات من الضعف والوهن؟

وفي موضع آخر يتحدث غنيم عن الشيب وما أحدثه فيه من عجز، الأمر الذي أحوجه إلى عصا يتوكأ عليها وهي بالطبع ليست كخلق الله الذي أتقن كل شيء، فيقول:

وأين صنيع الله من فرع دوحة حوته يميني فاقد الحس ذاويا؟[1]

على أن غنيم يعود ويؤكد أنه وإن كانت ساقه قد وهنت فحسبه أن أخلاقه قد سلمت وأن أصوله قد زكت، ولا عيب في مشيته الهوينا، فتلك صفة مشية عباد الرحمن كما وصفهم الله في القرآن الكريم، فضلاً على أن الخطو القصير يدل على الخلق الكريم، حيث يقول:

فإن تك ساقي اعتلت، فما إن مشت إلا على نهج قويم
وحسبي أن ساقي وهي تشكو سعت بي بين زمزم والحطيم
وحسبي أن يصيب الداء جسمي وتسلم منه أخلاقي وخيمي[2]
وإن تقصر خطاي فرب خطو قصير نمَّ عن خُلق كريم
أما يمشي عباد الله هونا كما في آية الذكر الحكيم[3]

ويمضي الشاعر فيبين أن علته تكمن في شيبه وضعفه وليس في ساقه ورسخه كما يقول:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٤٧/١.

(٢) الخيم: بكسر الخاء، والسجية والأصل والطبيعة.

(٣) في البيت إشارة إلى قوله تعالى: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الجاهلون قالوا سلاما".. الفرقان.. الآية (٦٣).. بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليس العيب في ساقي ورسخى لعمر أبيك، بل شيبي غريمي[١]

ويوضح غنيم أن الشيب داء أعيا كل الأطباء بخلاف الشباب الذي يستغنى عن الدواء فيقول:

وداء الشيخ يعيي كل طب وما أغنى الشباب عن الدواء[٢]

فالشيخ الهرم – في نظر غنيم – يدب فيه الضعف والهزال، وتحيط به الأمراض من كل جانب لدرجة تعيي الأطباء، ولكن الشباب فيه القوة والمنعة... ولعل الشاعر بذلك يريد أن يغرى الشباب باغتنام أيام شبابهم التي لن تعود قبل أن يدركوا المشيب ويتملكهم الضعف. ويرى غنيم أن الشيب نذير الموت، وأنه يقرب الناس من الله، فيزيد المحسن في إحسانه ويقلع المسيء عن عصيانه، ويتعجب الشاعر من عجز العلم على الرغم من تطوره في شتى المجالات عن ابتكار شيء يعيد نضارة الشباب حيث يقول:

ذوائب من بعد الظلام تضيء لتعلن أن الموت سوف يجيء
فيزداد في الإحسان من كان محسنا ويقلع عن سوء الصنيع مسيء
ألا أيها الشيب الملم بلحيتي لك الويل إني من سناك برىء
ترى معجزات العلم تترى، فهل أرى شبابي من بعد المشيب يضيء؟
هو الطب: أما في الجراح فمارد وأما أمام الشيب فهو قميء[٣]

وترى الاستفهام في البيت الرابع الذي يفيد النفي، فهو يعلم علم اليقين أن شبابه لن يعود.

أما في البيت الأخير فقد صور الشاعر قدرة العلم وقوته الجبارة في

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٤٣/١.
(٢) المرجع السابق: ٧٥٧/١.
(٣) المرجع السابق: ٧٥٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجال الجراحة، وعجزه في نفس الوقت أمام غزو الشيب للإنسان.

ولعل العزاء الوحيد لغنيم في ذلك أنه لم يقض شبابه في اللهو والمجون والعبث والضعف والفتور، بل قضاه في الجد والاجتهاد تصاحبه عزيمة قوية وإرادة جبارة تفل الحديد إذ يقول:

حسبي عزاء أن مضيت ولم تشب ... بنقيصه صحفي ولا ألواحي
وأن انقضيت وما انقضت لي عزمة ... كلا ولا فل المشيب سلاحي
الله يعلم ما قضيتك عابثا ... يهوى الملاح أو احتساء الراح
لم أقض في التشبيب شرخ شبيبتي ... لكن وقفت على الحمى أمداحي[1]

فشباب الشاعر حافل بالمجد والذكريات الجميلة التي تبعث الزهو والافتخار في النفس، وفي ذلك تسلية من الشاعر لنفسه بأن شبابه لم يضع سدى ولم يكن فيه ما يزرى به أو ينقص من شأنه وذلك سر فخره وصبره على الشيب وأمراضه، والوهن وأعراضه.

ولعلنا الآن نستطيع أن نقول: إن محمود غنيم كان أحد الحكماء العقلاء والمفكرين الألباء الذين حملوا مشاعل النصح وحملوا مشاعل التوجيه فكم أفاء علينا من خلال الحكمة الخالدة والفلسفة الماهدة في شتى المجالات بما ينم عن عقل فاحص ونظر عميق وخبرة طويلة وتجربة صادقة.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٣٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

الدراسة الفنية

الأسلوب:

هو طريقة الكاتب أو الشاعر في التفكير والتعبير والإحساس أو كما يقول النقاد الأوربيون: الأسلوب هو الرجل نفسه، فالأسلوب إنما هو طابع الأديب وانعكاس لنفسيته وظروفه وقراءته، والحقيقة أن هناك بعض العناصر في الشخصية لها أثر كبير وواضح في أسلوب الأديب كالطبع وأثر البيئة والثقافة والتربية[1]، كذلك فإن "أسلوب الكاتب يمزج عادة بين مادة الفكر ومادة الإحساس" والكتابة الجيدة هي ما يمر فيها الفكر بالإحساس والإحساس بالفكر حتى ليصح أن يقال إن الكاتب الجيد يفكر بقلبه ويحس بعقله"[2].

ولقد عاش غنيم عمره كله في نضال مع الحياة والأحياء حيث عانى صروف الدهر، وصنوف البشر، وقاسى كثيراً في تحصيل قوته ومعاشه، وحمل فوق كاهله قضايا وطنه وأمته ونافح وكافح وأخفق غالباً ونجح أحياناً ولقد برز هذا في شعره واضحاً جليا.

وتعتبر حياته وثقافته وبداية نظمه للشعر من أهم العوامل التي أثرت في أسلوب محمود غنيم حيث كان كثير القراءة واسع الإطلاع في دواوين الشعر وخاصة المتنبي والبحتري وأحمد شوقي، حيث تأثر بفلسفة المتنبي

---

(١) الأسلوب: لأحمد الشايب ١٣٠ - ١٣٣ بتصرف، ط/ دار النهضة المصرية، الطبعة الخامسة.

(٢) في الأدب والنقد: د/ محمد مندور: ص٢٧. ط/ دار نهضة مصر الطبعة الخامسة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحكمته، وطبع البحتري وروعة أحمد شوقي وشاعريته.

ومنْ ثم وجدنا أسلوب غنيم يتميز بالقوة والجزالة والوضوح وكما يقول المازني "على قدر نصيب المرء من سلامة الذوق ولطف السليقة يكون انتفاعه بمحفوظه، والمحفوظ الكثير من أسباب قوة الكاتب أو الشاعر، ولكنه قد يكون أيضاً من بواعث ضعفه وتخلفه"(١).

ولكن ثقافة شاعرنا ومحفوظه كانت من أسباب قوته، حيث كان يأخذ القالب واللغة والأساليب من الشعر القديم ويصب فيه أدب نفسه وإحساسه وعصارة تجاربه.

ولم يكن التراث القديم أو الحديث الذي تأثر به غنيم هو وحده الذي أضفى على أسلوبه القوة والروعة والوضوح، إنما ذلك راجع إلى نفسه وطبيعته في المقام الأول، "لأن القوة صفة نفسية، تتبع أول أمرها من نفس الأديب أو الشاعر قبل أن تكون صفة الأسلوب، والشاعر الذي يدرك الحقائق بوضوح، ويعتقدها بصدق، ويحرص على إذاعتها، تجد في عباراته صدى ذلك، وهي قوة لا تكون بالتقليد والتصنع، وإنما هي قوة الأخلاق، وصدق العقيدة وصحة الفهم، وبعد أغواره"(٢).

ونقرأ لغنيم تلكم الأبيات القوية الجزلة:

لعمرك قد يكون الموت أحنى على الأحياء من أم رءوم
ولم أر مثل الموت ضيفا يلم بساحة الحر المضيم(٣)

وقوله:

---

(١) الشعر غاياته ووسائطه: المازني ص٣٧ ط/ مطبعة البسفور، القاهرة (١٩١٥م).
(٢) الأسلوب: د/ أحمد الشايب ص١٩٤.
(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/٧٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويا رب ملتاع على الميت ما سعى إليه وساع لم يذق لوعة الثكل[١]

وقوله:

وما الحمق إلا أن نفكر في غد وأنت رهين الموت لا تضمن الغد[٢]

وترى الرقة والسهولة والفلسفة الرقيقة الرقراقة في قوله:

ولأمر وأد البنت أبوها وأحس العطف نحو الولد
وترى الهرة إن ربع بنوها دافعت عنهم بعزم الأسد[٣]

وقد نوع غنيم في حكمة وزاوج بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية في براعة فائقة فمن الأساليب الخبرية قوله:

صيد القلوب تصيد الطير معركة لها سهام وأقواس وأزمان[٤]

وقوله:

ومهر المجد إن تخطبه غال وبعض المهر موت واحتضار[٥]

وكذلك قوله:

يغفر الشعب كل ذنب ولا يمـ نح عرشا أذله غفرانا
عصف الدهر بالعروش وولى عهد كسرى وقيصر لا كانا[٦]

وغيرها من الأبيات الحكمية التي جاءت في صيغة الأسلوب الخبري والتي يعج بها الديوان مما يؤكد على عمق ثقافة الشاعر وخبرته الطويلة بالحياة والأحياء.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٥٠/١.
(٢) المرجع السابق: ٥٢٤/١.
(٣) المرجع السابق: ٧٣٢/١.
(٤) المرجع السابق: ٧١٩/١.
(٥) المرجع السابق: ٧١٠/١.
(٦) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما عن الأساليب الإنشائية فقد كثرت كثرة هائلة في النزعة الحكمية لدى غنيم والجملة الإنشائية هي:

كل كلام لا يصح أن يقال لصاحبه: إنه صادق فيه أو كاذب... أو كل كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته... وقال القزويني: "ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء".(١)

فالإنشاء لا دلالة له قبل نطقه ولم يقع سابقاً.. ولهذا لا يطابق الواقع الذي تقدمه، والإنشاء في اللغة الإيجاد، والخلق، أنشأه الله: خلقه وابتدأه... ومن هنا فإننا نرى أنه كلام لا يحتمل الصدق والكذب ويستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ولهذا لا يجوز أن يقال لقائله: إنه صادق أو كاذب.

على أية حال فقد تعددت الأساليب الإنشائية في الشعر الحكمي لدى غنيم كالأمر والنهي والنداء والاستفهام، وقد أجاد الشاعر استخدامها تبعا للمقام ولحالته النفسية.

فمن الأمر قوله يخاطب نفسه:

اهزلي فالحياة يا نفس هزل إن من جد عاش غير سعيد(٢)

والأمر هنا يحمل معنى السخرية حيث يطلب الشاعر من نفسه أن تهزل وألا تجد، لأنه وجد الشقاء في الجد والسعادة في الهزل.. ولعل الشاعر قد ذهب هذا المذهب ورأى تلك الرؤية نظرا لما يراه أمامه في الواقع من سعادة بعض العابثين،ومن ثم نادى نفسه وطلب منها الهزل وعدم الجد لعلها تنال السعادة المنشودة التي نالها غيره، ومن ذلك قوله:

---

(١) الإيضاح: للخطيب القزويني، ص ١٦، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، د/ت.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٥١٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألا فليسد من شاء حسبي أنني ضننت بماء الوجه حيث تكرموا[١]

وهذا الأمر وإن كان يحمل في طياته معنى الأسى والحزن إلا أنه في الوقت نفسه يحمل الكثير والكثير من الفخار والإجلال للذات والعزة بالنفس والإباء، وما أروع تلكم المقابلة اللطيفة التي عقدها الشاعر بينه وبين غيره من الناس فإذا كان غيره قد أذل نفسه وسلك طريق المذلة والهوان والملق والنفاق حتى يصل إلى مبتغاه فإنه صان نفسه عن التبذل والمذلة وضن بماء وجهه لأنه أبى أن يكون منافقاً، ومنه أيضاً:

صفوا سرائركم من كل شائبه تصفو الحياة لمن تصفو سرائره[٢]

والشاعر هنا يحث الناس على تصفية نفوسهم من الكدر والملق والنفاق والخديعة حتى تصفو لهم الحياة، فمن صفت نفسه صفت حياته وسلمت من كل كدرة، وكذلك قوله:

قل لمن سيم في الحياة هوانا كن عزيزا أو لا تكن إنسانا[٣]

ونلمح في هذا البيت كثيرا من اللوم والتعنيف والتأنيب للذين يرخصون أنفسهم ويذلونها ويسلكون طريق المذلة والهوان، ولهذا كان الأمر صريحاً "كن عزيزاً"، ثم أتبعه بحرف العطف (أو) التي تفيد التخيير، المتبوعة بالنهي (أولا تكن إنساناً)، وكأنه يقرر أن المذلة تنافى الإنسانية ولا تتناسب معها ولا تليق ببني البشر، وقوله:

لا تغل نفسك أو ترخص أخاك فقد سواك ربك من طين وسواه

ولا تقل هذه أنثى وإن ضعفت أما تدبر ملك النحل أنثاه؟[٤]

---

(١) المرجع السابق: ١/٢٣٥.

(٢) المرجع السابق: ١/٦٩٩.

(٣) المرجع السابق: ١/٥٦٦.

(٤) المرجع السابق: ١/١٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والغرض من هذا النهي هو النصح والإرشاد والتوجيه بعدم التعالى على الناس لأن الجميع سواسية خلقوا من جنس واحد، وفي البيت الثاني من البيتين السابقين يحذر الشاعر من التهاون في حق المرأة أو الانتقاص من شأنها مهما ضعفت، ويضرب لنا مثلاً بمملكة النحل التي تديرها أنثى في دقة وإحكام.

ومن ذلك أيضاً قوله:

لا تذكروا خطأ الماضي وحوبته ما كان من خطأ فالله غافره[١]

وعلى الرغم من أن النهي هنا يحمل معنى النصح والإرشاد إلا أنه في الوقت ذاته يهدف إلى استنهاض الهمم والحث على نفض غبار الماضي وأخطاء الأمس لأن رحمة الله واسعة ومغفرته أوسع.

ومن النهي أيضاً قوله:

لا يخدعنكم الهزبر بصمته فلعل في صدر الهزبر أتونا[٢]

والغرض من النهي في البيت هو التأديب والنصح، فلا ينبغي أن يعتبر الإنسان بالظاهر وينسى بواطن الأمور يضرب لنا الشاعر مثلاً بالأسد الصامت والذي ربما حمل في صدره بركاناً ثائراً، وكذلك الإنسان فلربما أبدى البشاشة وأضمر العداوة والشحناء والبغضاء فعلى المرء أن يتعقل ويتدبر حقيقة الأشياء وعدم الاكتفاء بالقشور دون اللباب.

وهناك أسلوب النداء مثل قول غنيم:

يا حاملاً كأس الشفاء بكفه أتموت من ظمأ وأنت الساقي[٣]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٩٩/١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٩٥/١.

(٣) المرجع السابق: ٢٤٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويحمل النداء هنا معنى التحسر والحزن على الفقيد الطبيب الذي كان يداوي الجراح ويسقي الناس من بلسم طبه، بينما عجز هو عن مداواة نفسه.

ومن النداء أيضاً قوله:

يا خاطبا ود الأنام ثكلتهم ما هيا؟

هذا زمان لا وفاء لأهله إني بذلت المهر قبلك غاليا[١]

وينطوي هذا النداء أيضاً على معنى الأسى والحزن الذي خيم على الأبيات وألقى بظلاله على أسلوب الشاعر، حيث مل غنيم الناس ويئس من ودهم الذي لا ينال بأي حال من الأحوال. وقد استخدم الشاعر من الألفاظ ما يعينه على ذلك المعنى (ثكلتهم)، (ما هيا)، (هذا زمان لا وفاء لأهله)، مؤكداً ذلك كله بقوله: (إني بذلت المهر قبلك غاليا) والمعنى أنه حاول مرارا وتكرارا وبالغ في استرضاء الناس واستمالتهم نحوه، وبذل في ذلك كل غال ونفيس دونما جدوى.

كما استعمل الشاعر الأساليب الاستفهامية، ومنها قوله:

أيحيا الناس في بذخ وعز ونحيا مثل زهاد الهنود[٢]

ونرى الشاعر هنا يتساءل متعجبا من التفاوت الرهيب الذي يوجد بين الناس، حيث يحيا أناس في فقر وشطف من العيش، بينما يرفل آخرون من النعيم ويعيشون في بذخ وعز مما زاده عجبا وأسى في آن واحد.

ومنها كذلك:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٢٤٧/١.

(٢) المرجع السابق: ٤٢/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـيم الجمـود وديـنكم متصـرف وزمـانكم متغيـر الأوضـاع؟[١]

والشاعر في هذا البيت ينكر على قومه عدم مسايرة ركـب الحضـارة والتطور في زمانهم الذي لحق التطور فيه كل شيء، فضلاً عن أن الإسلام يواكب التطور في كل المجالات وشتى الأحوال.

وكذلك قوله:

مـاذا تقـول إذا الجـدود تعثـرت وإذا المشيئة أنفـذت أقـدارها؟[٢]

ويحمل هذا الاستفهام هنا معنى الأسى والتحسر على تعثـر الحظـوظ، وفي الوقت نفسه نرى الشاعر يهدئ من روعه ويسلى نفسه بأنها مشيئة الله وقدره الذي لا مفر منهما.

ومن الاستفهام أيضاً قوله:

هل كنت تلقى في الـورى سـاعيا لو كان يسـعى الـرزق للقاعـد؟

والغرض من الاستفهام هنا استنهاض الهمم والحث على العمل والكفاح والسعي والجد والاجتهاد في طلب الرزق، إذ أن الرزق لا ينال إلا بالسعي لا بالتواكل والقعود، وإلا ليكن الناس كلهم إلى الدعة والهدوء ومـا سـعوا أبداً.

ومن الاستفهام كذلك قوله:

ما حيلة العصـفور قصـوا ريشـه ورموه في قفص وقالوا: غـرد؟[٣]

وهذا الاستفهام استفهام تعجبي من انتظار الإبداع ممن لم يتح له أسباب الإبداع، تماما كالعصفور الذي قص ريشه وحبس في قفص كيـف يطيـر

---

(١) المرجع السابق: ٤٥/١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٨/١.

(٣) المرجع السابق: ١٠٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأنى لم يغرد، وقد حرم الحرية وسلب مقومات الانطلاق؟ ومنه أيضاً قوله:

أتروضون الأسد غير طباعها وتروضون جماحها لتليا؟
أو تحملون على المذلة أمة عزلاء تعتبر الكرامة دينا؟(١)

وهذا الاستفهام يحمل معنى الإنكار على الطغاة المستعمرين الذين يريدون الشعب الأبى مستعبداً ذليلاً.. كما يحمل في طياته معنى الفخر والإباء والقوة والشجاعة التي تشبه شجاعة الأسود.

وهكذا وجدنا غنيم ينوع في أساليبه بين الخبر والإنشاء على النحو الذي رأيناه. هذا وقد برزت ظاهرة التكرار في حكمة غنيم مثل قوله:

من قسم الناس أجناساً فذاك له مجد وذلك لا مجد ولا جاه؟
من قسم الدم هذا آسن كدر وذاك من نفحات المسك رياه؟
أبناء آدم ما تلك الفوارق؟ وهل منكم له ابن؟ ومنكم من تبناه؟
لم يخلق الناس من در ومن خزف الناس مهما علو للناس أشباه
لا تغل نفسك أو ترخص أخاك فقد سواك ربك من طين وسواه
من يطلب الخير محضا عز مطلبه فإنما فطرة الأشياء تأباه(٢)

فهذه الاستفهامات المتتابعة التي كررها الشاعر تنكر التفرقة بين الناس وتؤكد على المساواة فيما بينهم.

ومن التكرار أيضاً قوله:

بنى مصر هذا زمان المجد فأين الجهود وأين الهمم؟
وأين الذي يقطع الأرض وثبا ولا ينثني عزمه إن عزم؟

فقد أدى تكرار الاستفهام بـ "أين" إلى خلق ظلال وإيماءات جديدة

---

(١) المرجع السابق: ٢٤٦/١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١٠٠/١ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتشكل في تتابع وتناسق من خلال تكرار الأداة نفسها.

إن زخم الأسئلة في هذين البيتين دليل على الصراعات النفسية التي يعاني منها الشاعر في تلك المرحلة والعاصفة بالانفعالات والأحزان إثر الاحتلال الأجنبي للبلاد ولذلك قال غنيم في القصيدة نفسها:

وما أقبح الأرض أرض الحمى إذا داسها غاصب بالقدم
وما أقبح الجو إن شم منه عدو البلاد رقيق النسم[1]

حيث كرر "ما أقبح" مرتين للدلالة على بشاعة الاحتلال من ناحية وشحذ الهمم من ناحية أخرى.

ومن أسلوب التكرار أيضاً قوله:

إذا الفقر كان جزاء الفقير فما بال أطفاله الأبرياء؟
وما ذنب طفل تخط الحياة له صفحة البؤس قبل اللقاء
وما فضل طفل إذا ما استهل تلقته في المهد أيدى الإماء؟

وهذا النوع من التكرار يسمى بالتكرار البياني وهو الذي يأتي لرسم صورة أو لتأكيد كلمة أو عبارة تتكرر دائماً في القصيدة، وقد يمتد هذا التكرار ليشمل بيتين متتاليين والغرض منه هو إثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة لخلق ما يسمى لحظة التكثيف الشعوري، أو لحظة التوافق الشعوري بين المبدع والمتلقي حيث تلاحظ تكرار الشاعر لـ "فما بال" و"ما ذنب" و"ما فضل". وكلها تساعد في إبراز الصورة التي يرسمها الشاعر للتكافل بين الأغنياء والفقراء.

ومنه أيضاً قوله:

لا تحذروا خطر الهجو م فليس يظفر من يحاذر

---

(١) المرجع السابق: ١٠١/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تـــــذكروا مجـــــد الأوا ئل واذكـروا عمـل الأواخـر[١]

حيث كرر أسلوب "النهي" لا تحذروا، لا تذكروا للحث علـى الكفـاح والإقدام والنهوض والتقدم وإثبات الذات وعدم الاكتفاء بأمجاد الجدود، وقد أكد المعنى في موضع آخر حيث قال:

أبنـاء يعـرب، لا حيـاة لأمـة بالذكريات، بل الحيـاة مسـاع[٢]

ومهما يكن من أمر فإن التكرار في شعر الحكمة لدى غنيم كانـت لـه تجليات مختلفة وكان عنصرا فعالا في تكوين قصيدة غنيم بوجه عـام، لأن "التكرار يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشـبهه مـن أنـواع الخطاب الأخرى الإقناعية"[٣].

وبهذا يتضح أن للتكرار دوراً كبيراً في عكس تجربته الانفعاليـة التـي شكلها، ومن هنا "فلا يجوز أن ينظر إلى التكرار على أنه تكرار ألفاظ بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعنى، أو بالجو العام للنص الشعري، بل ينبغي أن ينظر إليه على أنه وثيق الصلة بالمعنى العام"[٤].

البناء الفني في حكمة غنيم:

بالنظر في حكم غنيم نجد أنه على الرغم من أنه كان شاعراً ينتمي إلى المدرسة المحافظة أو المدرسة التقليدية في الشعر إلا أنه قـد ابتعـد عـن المقدمات التي كان ينهجها القدماء وكان يدخل في موضوعه دون تمهيد أو

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٧٠/١

(٢) المرجع السابق: ٤٢/١

(٣) الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) محمد مفتاح المركـز الثقـافي العربـي (١٩٩٢م) ص٣، ص٣٩.

(٤) التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية: موسى ربابعة – جامعة اليرمـوك، الأردن، ١٩٨٨م مؤتمر النقد الأدبي ١٠ – ١٣ تموز ص١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمات.

هذا فضلا عن أن الحكم التي كان ينثرها غنيم في قصائده كانت موظفة توظيفاً فنياً محكماً ولم يقحمها غنيم إقحاما بل جاءت الحكمة في شعر غنيم متناغمة ومتناسقة مع الفرض الرئيسي للقصيدة فإذا تحدث عن الرثاء وجدنا الحكمة الحزينة التي تتحدث عن الموت والفناء والزهد والاستعداد للموت وغيرها من المعاني التي تتماشى مع هذا الغرض، وهكذا في كل موضوعاته.

ومثال ذلك قوله في قصيدة له ألقيت في حفل تأبين كمال اللبان:

ولعمري لو يبعث الدمع ميتا ... لبكينا بدمع بنت الشريد
ليت شعري ماذا نقول وأنتم ... أهل بيت على العلوم مشيد
إنما يقهر الخطوب حكيم ... ذو فؤاد على الخطوب جليد
إن في العيش والممات لسراً ... ضله الناس منذ بدء الوجود
قلب الطرف: هل ترى في البرايا ... غير حي أودى وآخر يودى؟
أهزلي فالحياة يا نفس هزل ... إن من جد عاش غير سعيد
يسبح المرء في محيط الأماني ... والمنايا منه كحبل الوريد
ضل من يكفيه قليل الزا ... د ولا يكتفي بملل الرشيد
كل وجه له التراب نقاب ... غير وجه المهيمن المعبود[1]

وكل هذه الحكم تناسب الغرض وترتبط بالموضوع الأساسي في القصيدة وهو الرثاء.

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدة "صدى الجلاء" التي تدور حول معاهدة الاستقلال التي عقدها جمال عبد الناصر بين مصر وبين جيش الاحتلال بعد طول النضال في سبيل الحرية:

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٥١٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مضى الاحتلال وما الاحتلال ... سوى وصمة عار بين الأمم
بقية إرث قرون خلت ... على الظلم قد طبعت والظلم
حملناه جرحا بكل فؤاد ... وهما على كل صدر جثم
وما كان في العين إلا القذى ... وما كان في الجسم إلا السقم
إذا ما استكانت له أمة ... فما أهلها بشر بل نعم
ومن قبل الظلم فهو الملوم ... وليس الملام على من ظلم
ولن يحمل القيد حر أبيٌ ... ولن يلبس الطوق شعب أشم
له في الكرامة ماض مجيد ... وسابقة في العلا والكرم
فبئس النعيم نعيم الجنان ... إذا ضمه وطن مهتضم
وهل للبلاد المباحة ماء ... به يرتوى أو هواء يشم
وما أقبح الأرض أرض الحمى ... إذا داسها غاصب بالقدم
وما أقبح الجو إن شم منه ... عدو البلاد رقيق النسم[1]

فهو يتحدث عن الاحتلال وظلمه وأنه وصمة عار في جبين الوطن، ومن ثم كانت حكمه عن الحرية والإباء والكرامة ورفض الظلم، وقد تداخلت الحكم في الموضوع الأساسي للقصيدة حتى إنه يصعب فصلها، فضلاً عن التناسق الذي بين الموضوع والحكم.

ومن الأمثلة التي توضح ارتباط الحكمة بالموضوع الأساسي في شعر غنيم قوله يتحدث عن شوقي وذكراه وعن الشعر والشعراء:

لعمرك والناس دون الشعور ... ودون الأحاسيس إلا نعم
إذا الشعب لم يعر الشعراء ... مسامعه فهو شعب أصم
وما قيمة الروض دون طيور ... تغنى ودون زهور تشم
وما الكون إن أصبح الكون سوقاً ... لبيع القرى بالجياع ازدحم

---

(١) المرجع السابق: ٣١٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد عبد المحدثون الحطام كما عبد الأقدمون الصنم
وما الشعر إلا حياة الشعوب ورمز النهوض وحفز الهمم
إذا ساد في الأرض قل الفساد بها وأظل السلام الأمم[١]

فهو يتحدث عن شاعر فذ عبقري هو أمير الشعراء ومن ثم رأيناه يكثر من الحكم التي تدور حول الشعر والشعراء وقيمة الشعر والشعور للإنسان ووجوب الاهتمام بالشعراء، وهكذا تتلون الحكمة لدى غنيم لتناسب الموقف أو الموضوع الذي يتحدث فيه. أو بعبارة أخرى إن حكمة غنيم ملائمة للموقف الشعري الذي صدر فيه لمواءمتها للغرض الشعري ومن ثم رأينا أبيات غنيم يحاول من خلال خطراته الحكمية إعطاء مغزى لحياته لتقوم على أسس مقبولة منه، ومن ثم رأيناها تعبر عن المثالية المفتقدة لديه في محاولة لإرضاء نفسه وإقناعها بنتائج سعيها أو هي بمثابة تسلية لنفسة عما لم يحققه من أمان أو يشغل باله من قضايا.

انظر إليه حين يقول في حسرة وأسى في قصيدته التي عنوانها: "كأس تفيض":

تعللت دهراً بالمنى، فإذا بها قوارير من مس الصّبا تتحطمُ
لعمرك، لا أدرى: على أي منطق أشاهد في مصر الحظوط تقسمُ
فمن يك ذا قربى وصهر فإنني بمصر وحيدٌ لا قريبٌ ولا حمُ
ألا فليسد من شاء، حسبي أنني ضننت بماء الوجه حين تكرموا
وإني لمغبون إذا صرتُ قيصراً وطّوق بالنعماء جيدى منعم[٢]

فنلاحظ أن الشاعر كنى بالقوارير عن أمانيه العاثرة ليؤكد على ضعفها، وهل هناك أو هي من تلك القوارير التي تتحطم من مس أرق من النسمات،

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٥٣٢/١.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٢٣٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد نعى الشاعر أيضاً حظه في الدنيا وذهب إلى أنه لا يوجد منطق على الإطلاق في توزيع الحظوظ في مصر..ولكن في الوقت نفسه يعزى غنيم نفسه بأنه كان في استطاعته أن يسود كغيره ولكنه أبى أن يفرط في حيائه ووقاره وعزته وإبائه، لأنه عفيف النفس أبيّها، لا يقبل الضيم والذل والهوان والمن ولو كان المقابل الرقي والعلا والمجد. ولم لا ؟ وقد قال غنيم في وقت آخر:

قل لمن سيم في الحياة هوانا كن عزيزا أو لا تكن إنساناً
والخير لصاغر لبس الذل رداءً أن يلبس الأكفانا[١]

وقال أيضا:

سوق النفاق قد اصطفت موائدها وراح يسعى إليها كل مرتزق
كفكف دموعا على الأموات تذرفها يا صاح دابك معي في مآتم الخلق[٢]

ومن ذلك أيضاً قوله في قصيدته "كفكف دموعك":

دعوني أقضي الحياة مُزاجا وأقطعها بهجة وانشراحا
لقد قرَّحت جفني العبرات وأثخن قلبي الأنين جراحا[٣]
أأقطع عمري أنينا وشكوى وألبس فيه الحداد وشاحا[٤]
وما أنا والهم ما دمت ألقى بدنياي خبزا، وماء قراحا[٥]
ومن ضاق ذرعا بدنياه ضاقت عليه، وإن هي كانت براحا
إذا ضن دهري بما أبتغيه وباتت عليّ الليالي شحاحا

---

(١) المرجع السابق: ٥٦٦/١.
(٢) كفكف الدمع: حسبه كف عن البكاء.
(٣) أثخنه: ملأه.
(٤) الوشاح: لباس خاص من ملابس الزينه.
(٥) الماء القراح: الصافي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـــإني أرى فـــي جمـــال الســـماء وطيـــب الهـــواء نعيمـــا مباحـــاً
إذا شـــرب النـــاس مـــر الحيـــاة عصرت من المر شهدا وراحـــا[١]
فمـــا عـــاش حـــي أطـــال الهمـــوم ولا مات حي أطـــال المراحـــا[٢]
لقـــد جهـــل الغِـــرُّ فـــن الحيـــاة وأدركتـــه، فابتســـمت، وناحـــا[٣]

فغنيم يوجه الإنسان إلى النظر إلى الجانب المشرق المضيء في الحيـــاة وغض البصر عن الجانب المظلم حتى لا يعكر صفو حياته.

وفي قصيدة "فلسفة الألم" يقول غنيم:

من كـــان حَـــرّ الهمـــوم يصـــهُره فـــإن حـــر الهمـــوم يصـــقلني[٤]
والهم يجلـــو النفـــوس إن صـــدأت والهـــم فيـــه رياضـــة البـــدن
والله مـــا نقمـــة بـــلا عـــوض كـــلا، ولا نعمـــة بـــلا ثمـــن
كـــم منـــه أعقبـــت أذى، وأذى فـــي طيـــه منـــة مـــن المـــنن
مـــا أهـــون الـــنفس والنفـــيس إذا ما بقى العرض غيـــر ممـــتهن[٥]

فغنيم لا يعبأ بالهموم لأنه ألفها وألفته وأعد لها صبرا كريمـــا وتجلـــدا وعزما أكيداً جعله يتحدى الأسى والألم حيث يقول:

تـــألي يـــا خطـــوب واحتـــدمي عودي - كما تعهـدين - لـــم يلـــن[٦]

ويقول في موضع آخر:

---

(١) الراح: الخمر.

(٢) المراح: التفاؤل والمرح.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٧٠/١ وما بعدها.

(٤) والمعنى أن الهموم تكسبه قوة وصلابة تماما كما يقهر النـــار الحديـــد ويكســـب السيف قوة ولمعانا.

(٥) راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٧٠/١.

(٦) تألبى: تجعي: احتدمى: اشتدى، راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٦٩/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا وظف غنيم الحكمة توظيفاً نفسياً رائعاً في بناء محكم ورائع على النحو الذي بيناه.

الصورة الفنية في حكمة غنيم:

من أبرز مهام الشاعر تصوير الأشياء تصويراً طريفاً، وإظهارها في ثوب جديد حتى تكاد تتحرك وتدب فيها الحياة.

والشاعر كالرسام، ولكن إذا كانت الفرشاة والألوان هي أدوات الرسام، فإن الكلمات والعبارات هي أدوات الشاعر في رسم صوره الشعرية.

والشاعر القدير هو من يجيد رسم صورته الفنية فيلائم بينها وبين الواقع والتجربة الشعورية حتى يشعر القارئ أو السامع على السواء بتلك الصورة ويتفاعل معها، فتتراءى له وكأنها صورة تتحرك أمامه.

وعلى هذا يعد الخيال عنصرا مهما في بناء النص الأدبي، إذ أنه وسيلة الشاعر والأديب للتصوير الرائع.

وليس الخيال كما يتوهم الناس من ضربا الإغراب والتعقيد أو لونا بعيدا عن الحقيقة والمألوف، ولكنه مرآة تنطبع فيها الصور فتعكسها وقد صفت من كل شائبة، وأخرجت إخراجا جديدا، وهو خادم للحقيقة، وغايته تصوير ما حجب عنا من حقائق الوجود[١].

والمقصود بالأخيلة ما يأتي به الشعراء في أشعارهم من عناصر التشبيه والتمثيل والاستعارة وغيرها من ضروب التصوير والتخييل لإيضاح أفكارهم ومعانيهم وتجسيدها وإبرازها في صورة حسية جميلة يألفها القارئ

---

(١) راجع/ الحياة الأدبية في عصر بنى أمية د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص١٧١، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٨٧م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسامع[١]، ومثل تلك الأشياء هي التي تلائم ثورة العاطفة وحدة الوجدان، لما تتضمنه من إيحاء وتركيز يكسب التعبير قوة، وتجعل النفس شديدة الأنس به، سريعة الاستجابة له، ويكون أقرب للتذوق وإثارة المشاعر.

وعلى أية حال فقد كان غنيم بارعا في رسم صوره الشعرية، فمن صوره الرائعة التي تأثر فيها بالقرآن الكريم قوله:

يسبح المرء في محيط الأماني والمنايا منه كحبل الوريد

فهو يصور انخداع المرء بالمظاهر الخادعة للدنيا والانصياع وراء ملذاته وشهواته وأمانيه بينما الموت جد قريب منه مثل حبل الوريد.

وقد تأثر غنيم في تلك الصورة بقول الله عزل وجل:"ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"[٢].

وحبل الوريد هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه، وهما وريدان عن يمين وشمال، وقال الحسن: الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهذا تمثيل للقرب أي نحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على وجه قرب المسافة[٣].

وقد أخذ غنيم هذا المعنى واستخدمه في تصويره حيث يؤكد أن الغرور والأمل يحيط بالإنسان من كل جانب بينما الموت أقرب منه من وريده

---

(١) بين التدين والمجون في شعر العصر العباسي الأول د/ محمد حسين حماد، ص٣٦١ ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م).

(٢) سورة ق: الآية (١٦).

(٣) راجع تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق/ أحمد الردوني وإبراهيم أطفيش ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ج١٧ ص٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكأنما يحث الشاعر بتلك الحكمة على عدم الاغترار بالدنيا ونسيان الموت.

وقوله أيضاً:

بعض الورى من جوهر مكنون وبعضهم من حمأ مسنون[١]

ويبرز غنيم في تلك الصورة الفنية الرائعة اختلاف طبائع الناس ومعادنهم حيث شبه بعضهم بالجوهر المصون، بينما جعل البعض الآخر كالحمأ المسنون.

وهذه الصورة مأخوذة من كتاب الله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون"[٢].

وقد قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المراد بالصلصال هنا التراب اليابس، وقيل أن الصلصال: المنتن، وقيل الحمأ المسنون: هو الطين الأملس[٣].

وكان للمقابلة بين أصناف البشر دوره في إبراز الصورة في أحلى بيان وتأكيد المعنى وتوضيحه فالضد يظهر حسنه الضد.

ونرى غنيم يكثر من استخدام التشبيه في رسم صوره الفنية انظر إليه حيث يقول:

هي محنة كسحابة في الصيف تؤذن بالزوال[٤]

فهو يصور المحنة بأنها سحابة صيف، وفي ذلك تسلية وعزاء لنفسه بأن المحن إلى زوال وأنها لن تمكث طويلاً، وسرعان ما سترحل وتزول

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٨٤/١

(٢) الحجر: الآية ٢٦.

(٣) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي سلامة، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، جـ٤/٥٣٣.

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٠٢/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كسحابة الصيف التي ما تكاد تظهر حتى تزول.

وقد استخدم غنيم التشبيه المقلوب أو التشبيه المعكوس وها ما يجعل المشبه مشبها به لادعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به كقول البحتري في وصف البركة:

كأنها حين لجت في تدفقها ... يد الخليفة لما سال واديها[1]

والمعهود أن تشبه يد الخليفة في تدفقها بالجود بالبركة إذا تدفقت بالماء ولكن الشاعر قلب التشبيه إيهاما إلى أن الخليفة أقوى تدفقا بالعطاء من تدفق البركة بالماء.

يقول غنيم:

الذئب كالإنسان لو ... يتعلم الذئب النظام

فكلاهما وحش حد ... يد الناب يلتمس الطعام

سيان عند الفتك نا ... ب الليث أو حد الحسام[2]

فالأصل أن يشبه الإنسان بالذئب في الفتك والبطش والغدر ولكن الشاعر قلب التشبيه، وشبه الذئب بالإنسان فجعل الأصل فرعا والفرع أصلاً مما مكن المعنى في النفوس. وكأنه يجعل الإنسان أشد فتكا من الذئب.

وإذا كان غنيم قد جعل الذئب كالإنسان فإن الياس فرحات قد فضل الذئب على الإنسان لأن الذئب إذا يترك شيئا من فريسته للذؤبان الجائعين، بينما الإنسان لا يفعل ذلك أبداً حيث يقول:

الذئب يترك شيئا من فريسته ... للجائعين من الذؤبان إن شبعا

---

(١) ديوان البحتري ٤/٢٤٢٠.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمرء وهو يداوي البطن من بشم يسعى ليسلب طاوى البطن ما جمعا[١]

كما كانت الاستعارة إحدى وسائل غنيم في رسم صوره الشعرية حيث يقول:

وفي المجهول يسبح كل فكر كما سبحت بشاربها العقار[٢]

ومن ذلك قوله:

إن المجاهد من أغار بفكره لا من أغار بسيفه وسنانه[٣]

وكذا قوله:

ولم أر مثل طيف الموت ضيفا يلم بساحة الحر المضيم[٤]

وقوله:

لعمرك قد يكون الموت أحنى على الأحياء من أم رءوم[٥]

وقوله:

ومهر الموت إن تخطبه غال وبعض المهر موت واحتضار[٦]

وقوله:

تبسم البحر بعد العبوس فهل للبحر أيضاً مسرات وأزمان[٧]

وقد أجاد غنيم رسم الصورة الفنية بنوعيها الجزئية والكلية، أما الجزئية وهي الصور البسيطة غير المركبة فقد تحدثنا عنها ومر بيانها ومن أمثلتها أيضاً:

---

(١) الرباعيات: إلياس فرحات. سان باولو، البرازيل، سنة (١٩٥٤م). ص٧١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٠٩/١.

(٣) المرجع السابق: ٥١٤/١.

(٤) المرجع السابق: ٧٤٤/١

(٥) المرجع السابق: ٧٤٤/١

(٦) المرجع السابق: ٧١٠/١

(٧) المرجع السابق: ٧١٩/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صيد القلوب كصيد الطير معركة لها سهام وأقواس وأزمان[١]

وقوله:

والله، ما نقمة بلا عوض كلا، ولا نعمة بلا ثمن
كم منه أعقبت أذى، وأذى في طيه مِنّةٌ من المنن[٢]

وأما الصور الكلية فهي الصور المركبة من عدة صور جزئية مترابطة ومتشابكة حتى تؤلف في النهاية صورة فنية متكاملة الأجزاء واضحة المعالم مثل قول غنيم:

أعددت للحادثات إن نزلت صبر كريم، بحملها قمن[٣]
لا تذهب الحادثات فطنته إن هي طاشت بفطنة الفطن
يسير وسط الرعود متئداً كأنه سائر بلا أذن[٤]
تزينه عزة الملوك على جفاف زاد، وملبس خشن
يشكو البلى ثوبه العتيق ولا تشوبه ذرة من الدرن[٥]
ما أهون النفس والنفيس إذا ما بقي العرض غير ممتهن[٦]

وهكذا أجاد غنيم وبرع في رسم صوره الفنية، وجعلها حية، ماثلة أمامنا حتى وكأننا نراها رأي العين.

الموسيقى الشعرية:

تعد الموسيقى من أهم عناصر الصياغة الشعرية، لما لها من تأثير قوي وأثر فعال في النفس والوجدان، وبما تحققه من الإبداع والإقناع في نقل

---

(١) المرجع السابق: ٧١٩/١

(٢) المرجع السابق: ٤٦٩/١

(٣) قمن بمعنى جدير.

(٤) كناية عدم المبالاة بالضجيج حتى لكأن به صمما.

(٥) الدرن: الوسخ: كنى بالبلى عن الفقر، وبالنظافة عن النزاهة.

(٦) راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٦٩/١ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشاعر والأفكار، فهي "وعاء الشعر الذي يتخلق في حناياه" على حد تعبير الدكتور شوقي ضيف[١].

والأوزان والقوافي هما إطار الموسيقى للقصيدة العربية وقد كان غنيم من أنصار القصيدة العمودية التي تلتزم بالأوزان والقوافي فضلا على أنه كان يعدهما من عناصر خلود الشعر، ومهاجمة الشعر الحر وتسميته بالتهريج حيث قال: "إننا نعتقد أن الشعر ما لم يحمل في طيه عناصر خلوده فلن تخلده الدعايات الزائفة، أو يلتمس له من الأسماء البراقة، كاسم الشعر الحر، والتجديد في الشعر، إلى غير ذلك مما هو أشبه بالتهريج منه بأي شيء آخر.. وأنه لا رواة له، وأنه يوءد يوم يولد، وشتان بين هرم صخر يصارع الأزمان، وكوخ من قش لا يلبث أن تذروه الرياح"[٢].

وعلى هذا التزم غنيم بالبحور الشعرية إلا أنه لم يقتصر على بحر دون غيره بوزن معين، بل رأيناه ينتقل بين البحور ببراعة كما تتنقل النحلة وسط الأزهار في حرية وانطلاق.

وكما قال غنيم:

كثر الزهر في الرياض فأغرت كثرة الزهر طيرها بانتقال[٣]

ويعد بحر الكامل من أكثر البحور الشعرية وأوفرها حظا في شعر غنيم، وقال عنه حازم القرطاجني: "إن الكلام يكون نظمه فيه جزلاً" وقد استخدمه غنيم تاما ومجزوءا فمثال التام منه قوله:

إن المجاهد من أغار بفكره لا من أغار بسيفه وسنانه[٤]

---

(١) فصول في الشعر ونقده: ط/ دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ص٣٠١.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: مقدمة ديوان: في ظلا الثورة: ص٣٠٢.

(٣) المرجع السابق ص٥١٤.

(٤) المرجع السابق: ص٥١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:

والنفس تعجب بالقوى وإن يكن جلاد تلك النفس أو جزارها[١]

وقوله:

المجد إما سطوة أو غنى ما العاجز المعدم بالماجد
قد يحسد المرء على رزقه ولا أرى للخلق من حاسد
لولا جمال الحور ما لامست أرض المصلى جبهة الساجد[٢]

وقوله:

والعين تخدع ربها ولربما خلقت عمالقة من الأقزام[٣]

وقوله:

أبناء يعرب، لا حياة لأمة بالذكريات، بل الحياة مساع
لا تطلبوا بالضعف حقا ضائعا ما للضعيف الحول من أشياع[٤]

أما مجزوء الكامل فمثاله:

إن الرعاة تفرقوا ويح القطيع من الذئاب[٥]

وقوله:

تعس الأنام فمنهم تتعلم الفتك الذئاب[٦]

وقوله أيضاً:

صبر الكريم على المذلة والأذى إحدى الكبائر

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم ١: ص٤٥.
(٢) المرجع السابق: ١/٧٧ وما بعدها.
(٣) المرجع السابق: ١/ ص٩٦.
(٤) المرجع السابق: ١/ ص ٤٢.
(٥) المرجع السابق: ١/ ص ٨٦.
(٦) المرجع السابق: ١/ ص ٥٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس أنصار القوى وليس للضعفاء ناصر[١]

وبحر الكامل ملئ بالموسيقى ويجمع بين الفخامة والرقة، وهو ما دفع غنيم إلى كثرة استعماله في شعره الحكمي.

كذلك نظم غنيم على بحر البسيط وهو بحر متنوع التفعيلة (مستفعلن – فاعلن)، وله "سباطة وطلاوة" كما وصفه حازم القرطاجني، وهو يعين الشاعر على إيجاد الإيقاعات فيشعره على قدر ما يريد، فهو طيع وله موسيقى واضحة، فيقول غنيم من البسيط:

إن ابن آدم عن سر الوجود وعن سر الحياة وسر الموت غفلان
ضل ابن آدم إذ رام الوصول إلى نهاية الكون والإنسان إنسان[٢]

ويقول أيضاً:

نار العداوة يصلاها مؤججها والجب يسقط في مهواه حافره[٣]

ويقول أيضاً:

قد يغفر الله للسكير من كرم ويخلد الراهب الذكير في النار[٤]

ويقول كذلك:

لم يخلق الناس من در ومن خزف الناس مهما علوا للناس أشباه[٥]

ونظم غنيم أيضاً على بحر المتقارب، وهو موحد التفعيلة والكلام فيه حسن الاطراد إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء[٦]، وتفعيلاته (فعولن – فعولن – فعولن – فعول) ومنه قوله:

---

(١) المرجع السابق: ١/ ص ٦٨٦.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ١/ ٧٢٠
(٣) المرجع السابق /١٦٩٩.
(٤) المرجع السابق: ص٥٨٠.
(٥) المرجع السابق: ص١٠٠.
(٦) المنهاج: ص٢٦٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكـــم أهلـــك المـــال مـــن حـــازه إذا المال لم يقترن بالسخاء[١]

وقوله:

وكـــم ســـائر ســـارها خطـــوة فلمـــا تخطـــى ســـواها عثـــر[٢]

وكذا قوله:

فـــإن الشـــجاع شـــجاع الســـلام إذا صـــادف العقبـــات اقـــتحم
وإن الحيـــاة مجـــال كفـــاح فويـــل لمـــن فـــي المجـــال انهـــزم
ومـــن قبـــل الظلـــم فهـــو الملـــوم ولـــيس المـــلام علـــى مـــن ظلـــم
ولـــن يحمـــل القيـــد حـــر أبـــى ولن يلـــبس الطـــوق شـــعب أشـــم[٣]

ومن ذلك قوله:

عـــزاء فـــإن الكـــريم إذا مـــا أصـــيب بفقـــد عزيـــز صـــبر[٤]

كذلك نظم غنيم في بحر الخفيف، وهو أخف البحور وأسـهلها وكـأن المنظوم فيه منثورا، وهو منـوع التفعيلـة، (فـاعلاتن – مسـتفع لـن – فاعلاتن)، خفيف الوزن، رشيق النغم، ومنه قوله:

مـــا تمنيـــت أن يكـــون الحـــي غير نجلى فوق ارتقائي ارتقاء[٥]

وقوله:

لا تليـــق الشـــكاة بالرجـــل الحـــــ ـــر ولكن فلا فاض ماء الإناء[٦]

وقوله:

---

(١) المرجع السابق: ٦٢٧/١.
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٥٠١/١
(٣) المرجع السابق: ٣٢٠/١
(٤) المرجع السابق: ٥٠١/١
(٥) المرجع السابق: ٧٤٠/١
(٦) المرجع السابق: ٥٦٣/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنمـــا يقهـــر الخطـــوب حكـــيم ذو فؤاد على الخطوب جليد[١]

كما استخدم غنيم في حكمه البحر الطويل وهو متنوع التفعيلة حيث يقوم على تفعيلتين مختلفتين هما (فعـولن – مفـاعلين) وقـد وصـفه حـازم القرطاجنى بأنه من الأعاريض الفخمة، الرصينة التي تصلح لمقاصد الجد، يقول غنيم:

عجائب الدهر لا تحصـى وأعجبهـا أن يخلـى الغـاب للـذؤبان آسـاد
وإنمـا القـدر المحتـوم لاحقهـم يومـا وللقـدر المحتـوم ميعـاد[٢]

ومنه قوله:

وما طيب عيش لـيس يشـعر أهلـه بذلتـه ألا إذا صـار ماضـيا[٣]

وقوله:

وما الحمـق إلا أن تفكـر فـي غـد وأنت رهين الموت لا تضـمن الغـدا
وما كل من يغشـى المعابـد مؤمنـا ولا كل من يستخدم العقـل ملحـدا[٤]

وبحر الوافر أحد البحور التي استخدمها غنيم فـي شـعره الحكمـي، وتفعيلاته (مفاعلتن – مفاعلتن – فعولن) وهو يصلح للنبر العالي والموضع التي تكون مدعاة للنغم الصوتي كقول غنيم:

ومهـر المجـد إن تخطبـه غـال وبعـض المهـر مـوت واحتضـار
فـإن يخلـف لنـا قمـر ظنونـا ففـي الملكـوت أقمـار غـزار
وقبـل الـنجح إخفـاق وثـان وأول مشـية الطفـل العثـار
وفـي المجهـول يسـبح كـل فكـر كمـا سـبحت بشـاربها العُقـار[٥]

---

(١) المرجع السابق: ٥١٨/١
(٢) المرجع السابق: ٦٧٤/١
(٣) المرجع السابق: ٧٤٦/١
(٤) المرجع السابق: ٥٢٤/١
(٥) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧١٠/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:

معـــي عتـــب أوجهـــه إلـــيكم وقـــد تصـــفو المـــودة بالعتـــاب[١]

وكذا قوله:

ومن ســبر المحــيط فلــيس يشــفى قليـــل طموحـــه إلا القـــرار[٢]

وهناك بحر الرجز الذي يعد أصل الشعر العربي، حيث يســهل نظــم الشعر عليه، وتفعيلاته (مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن) ويتناسب مع النغم والإنشاد والحكايات، ومنه قول غنيم:

ولــيس يعــز علــى العلــم شــيء وكيــف ومنــه رأينــا العجابــا[٣]

وقوله:

ما للضعيف فــي الــورى مــن حــام لـــولا نيـــوب الأســـد الضـــرغام
لكـــان مـــن فصـــيلة النعـــام ولاســـتبيحت حرمـــة الآجـــام[٤]

وهكذا نوع غنيم في بحوره الشعرية حيث استعمل تامهــا ومجزوءهــا الطويلة منها والقصيرة الرتيبة منها والسريعة مما ولد نغما موسيقيا هائلاً.

هذا عن الأوزان أما عن القوافي التي تشكل الدعامة الثانية من دعامات الإيقاع الشعري في القصيدة العربية القديمة، فقد اســتخدم غنــيم حــروف الهمزة والباء، والتاء والجيم، والحاء، والدال، والراء، والســين، والعــين، والفاء، والقاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الياء..

وتجنب غنيم استعمال حروف الثاء، والخاء، والذال، والزاي، والشــين، والصاد، والضاد، الطاء، الظاء، الكاف، الواو، وبعضها من الحروف التي

---

(١) المرجع السابق: ٩٠/١

(٢) المرجع نفسه: ٧١١/١

(٣) المرجع نفسه: ٧٠/١

(٤) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٦٦/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يندر ورودها في الشعر العربي كالثاء، والذال، والشين، والطاء.

وهناك قوافٍ متنوعة كما فعل في قصيدته فلسفة الحياة التي كان يغير قافيته فيها كل بيتين ومنها قوله:

كم عليل الحسم ذى طرف كليل ... يعشق النور وإن لم يره
وشريد في الحياة ابن سبيل ... إن رأى طيف الردى أنكره
حشرات الأرض من ألهمها ... جمع ما تقتات في فصل الشتاء؟
وطيور الجو من علمها ... كيف تبني عشها؟ حبُّ البقاء
ربما أتعبت الدنيا أجيراً ... كلما فكر في رقة حاله
فإذا ما صار في يوم أميراً ... ود لو عاد إلى راحة باله[1]

كما وجدنا غنيم ينوع في قوافيه بين الإطلاق[2] والتقييد[3] في القافية.. ولعل التقييد يضفي طنينا عذبا، ومن ثم قيد غنيم بعض قوافيه مما أكسب الجو العام للقصيدة نغما واضحا وترابطا مع الحالة النفسية للشاعر.

غير أننا لمحنا شيئين في قوافي غنيم أحدهما التضمين وهو عيب من عيوب القافية ويعني انتهاء البيت دون تمام معناه أو بمعنى آخر يعني ارتباط البيت الأول بالبيت الذي يليه فيكون البيت الثاني متمما للبيت الأول ومثاله قول غنيم:

يا رب قصر له شمس الضحى طنف ... بين العيون وبين الشمس قد حالا[4]
يود ساكنه لو كان منطلقا ... كالذئب يسكن أحراجاً وأدغالاً[5]

---

(١) المرجع السابق: ٧٣٢/١ وما بعدها.

(٢) القافية المطلقة هي القافية المتحركة.

(٣) القافية المقيدة هي القافية الساكنة.

(٤) الطيف: ما أشرف خارجاً عن البناء، والسقيفه فوق الباب، والمصراع الأول من البيت. كناية عن رفعه القصر وسموه.

(٥) الأحراج: جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر، والأدغال: جمع دغل وهو الشجر الكثيف الملتف.. راجع الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٧٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثاله أيضا قوله:

إذا ضـــن دهـــرى بمـــا ابتغيـــه وباتـــت علـــى الليـــالي شـــحاحاً
فـــإني أرى فـــي جمـــال الســـماء وطيـــب الهـــواء نعيمـــا مباحـــا[١]

غير أن هناك من النقاد من لا يعد التضمين عيبا، بل هو ميـزة ولـه مواقعه التي يحسن فيها حيث يقول[٢]:

"والتضمين ليس بعيب كبير، وكثيراً ما يحسن موقعه إذا كـان البحـر قصيراً، أو كان الشعر قصصياً آخذا بعضه برقـاب بعـض، أو خطابيـاً حامياً".

الأمر الثاني الذي لاحظناه في قوافي غنيم جمع غنيم بين ذوات الـواو وذوات الياء في قافيته، وهما ما يسمى في عرف العروضـيين بـالردف المشبع، وبحسب نظام التقفية العربية فإنه يجوز للشاعر أن يجمع بين هـذا وذاك. كما في قول المثقب العبدي:

أفـــاطم قبـــل بينـــك متعينـــى ومنعـــك مـــا ســـألت كـــأن تبينـــي
ولا تعـــدى مواعـــد كاذبـــات تمر بهـــا ريـــاح الصـــيف دونـــي[٣]

وكما في قول أبي تمام:

إن كـــان مســـعود ســـقى أطلالهـــم سبل الشـــؤون فلســـت مـــن مســـعود
ظعنوا فكـــان بكـــاي حـــولا بعـــدهم ثـــم ارعويـــت وذاك حكـــم لبيـــد[٤]

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٤٧١/١

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها عبد الله الطيـب المجـذوب جـــ١: ص٥١، ط/ الكويت ط٣ (١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ).

(٣) المفضليات: ٢٨٨ تحقيق وشرح / أحمد محمد شاكر وعبـد السـلام هـارون، ص٢٨٨، ط/ دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، (١٣٦١هـ / ١٩٤٢م).

(٤) شرح ديوان أبي تمام للخطيـب التبريـزى ٢٠٧/١ ط/ دار الكتـاب العربـي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثله قول غنيم:

إنمـــا يقهـــر الخطـــوب حكـــيم ذو فـــؤاد علـــى الخطـــب جليـــد
إن فـــي العـــيش والممـــات لســـراً ضـــله النـــاس منـــذ بـــدء الوجـــود
قلّب الطرف هل تـرى فـي البرايـا غيـر حـي أودى وآخـر يـودى؟
اهزلـى فالحيـاة يـا نفـس هـزل إن مـن جـد عـاش غيـر سـعيد
يسبح المـرء فـي محـيط الأمـاني والمنايـا منـه كحبـل الوريـد
ضل مـن يكفيـه قليـل مـن الـزا د ولا يكتفـي بملـك الرشـيد
كـل وجـه لـه التـراب نقـاب غيـر وجـه المهـيمن المعبـود[1]

"والقرابة بين الواو والياء قريبة جداً في العربية، ولأمر تقبل القدماء نحو إقواء النابغة وبشر والحارث، الذي جمعوا فيه بين روى مكسور وآخر مضموم، وهل الضمة والكسرة إلا فرع من الواو والياء؟"[2].

وبالإضافة إلى الأوزان والقوافي هناك المحسنات البديعية كالطباق والجناس والترادف والتي كان لها دور بارز في النغم الموسيقي.

كما كان تنوع الأساليب التي كان يحرص عليها غنيم من خبر وإنشاء أحد العوامل في إنماء الجانب الموسيقى في شعره يضاف إلى ذلك المد والتضعيف والإشباع في الحركات والتنوين والأدوات اللغوية من حروف وأدوات شرط واستثناء حروف توكيد وغيرها مما عمل على إثراء الموسيقى لاختلاف معانيها، وبالتالي اختلاف إلقائها من ناحية، ولتنوعها بين الحركة والسكون والمد مما يعطي تلوينا موسيقيا هائلا من ناحية أخرى.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم: ٥١٨/١.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٥٢/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

وبعد فقد تم بحمد الله وعونه وتوفيقه بحثنا عن الحكمة في شعر محمود غنيم، وقد تبين لنا من خلاله:

- إن محمود غنيم أحد الشعراء الحكماء الذين خبروا الحياة وعاشوا حلوها ومرها ومن ثم أراد أن يقدم عصارة فكرة وخلاصة تجربته في أبياته الحكمية على النحو الذي رأيناه حيث اختار حكمه بذوق رفيع وفن رقيق، وذكاء لماح لتكون زاداً للأجيال على مر العصور.
- لا تنفصل حكم غنيم عن حياته الواقعية، وواقعه النفسي حيث تحدث عن الآلام التي عاشها والآمال التي ارتقبها، وتحمل المشاق ومقابلة الخطوب، وخبرته الطويلة وتجاربه العميقة بالحياة والأحياء، والأصدقاء والحرب والسلام، والفقر والغنى، والشيب والشباب، وعن الشعر والشعراء، وغيرها... بالإضافة إلى الحكم الأخلاقية كالصبر والرضا والتسامح، والعفو، والعزة، والإباء، والاعتداد بالنفس.
- إن محمود غنيم في حكمه كان صورة صادقة لحالة عصره الفكرية والسياسية والاجتماعية.
- تعددت مصادر الحكمة لدى غنيم، ومن ذلكم تجاربه المتعددة وما تعرض له من أحداث وما مر به من ظروف بما فيها من نجاح وإخفاق ومسرات وأحزان، فكان لذلك كله رد فعل وأثر كبير في ذيوع الحكمة وشيوعها في شعره وجريانها على لسانه نبعا فياضاً.
- لم يغفل غنيم في حكمه ظروف العصر وأحداثه وملابساته من حروب وويلات وعهود ووعود عن السلام المنشود، فتحدث عن كل ذلك في أسلوب حكمي رائع ينم عن عقل واع وفهم كبير لكل ما يدور حوله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- إن الحكمة في شعر غنيم قد اتخذت عدة أشكال منها ما دار حول نفسه وشخصيته ومنها ما تناول مجتمعه وما يدور فيه من أحداث، وهناك منحى ثالث اتجه إليه غنيم بحكمه وهو قضية الموت والحياة ورأيه في الشيب والشباب والدنيا وحقيقتها... إن غنيم ابتعد بشعر الحكمة عن الخطابية وكانت الحكمة جزءاً لا يتجزأ من تجربته الشعورية لا تكاد تشعر بانفصالها عن باقي الأبيات، فعلى الرغم من أن الشاعر بتحدث عن نفسه إلا أنه يمكن أن نعتبر كل بيت حكمة مستقلة يصلح لموقف مشابه.وهذا من سر نجاح غنيم، حيث لم تعد الأبيات الحكمية أبياتا مفردة، وإنما هي جزء لا يتجزأ من تجربته الشعورية.
- إن محمود غنيم لم يفرد لشعر الحكمة قصائد بعينها بل جاءت أبياته الحكمية ضمن قصائده ولعل ذلك مما ضاعف من جمالها وبث فيها روح الحياة وأبعدها عن الخطابية والوعظ المباشر.
- هذا بالإضافة إلى حسن انتقاء اللفظ ودقته ومناسبته بين الألفاظ والمعاني وجودة السبك وحسن العرض وتنوع أساليبه وحلاوة موسيقاه وبراعة صوره الفنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
- الأدب العربي في الأندلس: د/ عبد العزيز عتيق، ط/ دار العلم للملايين، بيروت، د/ت.
- الأسلوب: أحمد الشايب: ط/ دار النهضة المصرية، الطبعة الخامسة د/ت.
- الأعمال الكاملة لمحمود غنيم، المجلد الأول، ط/ دار الغد العربي بالقاهرة (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
-الأمثال العربية والعصر الجاهلى دراسة تحليلية: د/ محمد توفيق أبو على، ط/ دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- الإيضاح: للخطيب القزويني، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، د/ت.
- الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) محمد مفتاح، ط/ المركز الثقافي العربي (١٩٩٢م).
-التكرار في الشعر الجاهلى دراسة أسلوبية: موسى ربابعة، ط/ جامعة اليرموك، الأردن،(١٩٨٨م).
- الجداول: إيليا أبو ماضى،ط/ دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة عشرة(١٩٨٦م).
- الحكم والأمثال: حنا الفاخوري ط/ دار المعارف بمصر د/ت.
- الحياة الأدبية في عصر بني أمية: د/ محمد عبد المنعم خفاجي،ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٨٧م).
- الرباعيات: إلياس فرحات سان باولو، البرازيل (١٩٥٤م).
- الشعر غاياته ووسائله: المازني، ط/ مطبعة البسفور، القاهرة (١٩١٥م).
- المرشد إلى فهم أشعر العرب وصناعتها: عبد الله الطيب المجذوب ط/الكويت، ط٣ (١٩٨٩م/١٤٠٩م).
- المفضليات: تحقيق وشرح أحمد مجمد شاكر، وعبد السلام هارون ط/ دار المعارف، الطبعة السادسة، (١٣٦١هـ /١٩٤٢م).
- بين التدين والمجون في شعر العصر العباسي الأول: د / محمد حسين حماد، ط/

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م).
- تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، ط/ دار العلم للملايين، د/ت.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي سلامة،ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م).
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط/ دار الكتب المصرية (١٣٨٤ه ـ ١٩٦٤م).
-جمهرة الأمثال للعسكري: ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- ديوان البارودي: ط/ دار العودة بيروت، تحقيق وشرح على الجارم، ومحمد شفيق معروف (١٩٩٨م).
- ديوان أبي العتاهية:ط/ دار بيروت (١٩٨٦م).
- ديوان ابن الرومي:شرح / أحمد حسن بسبح، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- ديوان البحتري: تحقيق وشرح / حسن كامل الصيرفي، ط/ دار المعارف بمصر (١٩٦٣م).
- ديوان حافظ إبراهيم: شرح / أحمد أمين، وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٩٨٧ م).
- ديوان الشافعي: شرح نعيم زرزور، تقديم د / مفيد قميحة، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- ديوان الشريف الرضى: ط/ دار بيروت (١٤٠٣هـ /١٩٨٣م).
- ديوان الشنفرى:جمع وتحقيق إميل يعقوب، ط/ دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- ديوان لبيد بن ربيعة: شرح / حمدي طماس، ط / دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٤هـ / ١٤٢٥م).
- لامية العرب للشنفرى د/ عبد الحليم حفني، ط/ مكتبة الآداب، القاهرة(١٩٨١م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- شرح ديوان أبي تمام: إيليا الحاوي،ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨١م).
- شرح ديوان الحماسة:لأبي تمام للمرزوقي، تعليق / غريد الشيخ، ط / دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ).
- شرح ديوان شوقي: د/ أحمد الحوفي، ط/ دار نهضة مصر (١٩٨٠م).
- شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي: تقديم وشرح / مجيد طراد ط/ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)
- شرح ديوان المتنبي: ط/ مكتبة الحياة، بيروت (١٩٩٢م).
- شرح المعلقات العشر للزوزني: ط/ منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (ذ١١٤هـ /١٩٩١م).
- شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري:تحقيق مصطفي السقا وآخرين،ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة (١٩٧٨م).
-شعر عروة بن الورد: تحقيق/ محمد فؤاد نعناع بالقاهرة،ط/ الخانجي بالقاهرة (١٩٩٥م).
- سنن ابن ماجة: المكتبة العصرية، بيروت الطبعة الأولى د/ت.
- صحيح البخاري: ط / دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية.
- فصول في الشعر ونقده: د/ شوقي ضيف،ط/ دارا لمعارف بمصر، الطبعة الثالثة، د/ت.
- في الأدب والنقد: شوقي ضيف، ط/ دار نهضة مصر، الطبعة الخامسة، د/ت.
- محمود غنيم وشعره: رسالة دكتوراه للدكتور/ محمد أحمد سلامة، مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.
- من تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط/ دار الفكر، بيروت، د/ت.
- من تاريخنا المعاصر: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط/ دار العهد الجديد، د/ت.
- نظم اللآلئ في الحكم والأمثال: جمع وترتيب عبد الله فكري شرح عبد المعين الملوحي، ط/ دار الأوزاعي، بيروت ١٩٠٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner